NAS_953_20/01

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التربية و التعليم العالي

جامعة تلمسان

كليـــــة الآداب و اللغـــات

قسم اللغة و الادب العربي

جامعة أبو بكر بلقايد
كلية الآداب و اللغات
مكتبة اللغة و الأدب العربي

تخصص : دراسات مقارنة

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر

2013
Facil 1 n°253

الموسومة ب:

البعد الانساني في الحضارة العربية الاسلامية

اعداد الطالبة:

* زدون صورية

تحت إشراف:

* أ.عبد العالي بشير

السنة الجامعية :2011-2012م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكـــــر و تقديـــــــر

الشكر لله العلي العظيم على فضله و توفيقه لي لانجاز هذا البحث اتقدم بالشكر الجزيل الى

أ- الدكتور : عبد عالي بشير

الذي تفضل بالإشراف و المتابعة ، و التوجيه .

كما لا يفوتنا آيات الشكر الجزيل

الى الاساتذة المناقشين الذين تحملوا عبء قراءة هذه المذكرة و الى كل الاساتذة الكرام

أساتذة اللغة العربية و آدابها

نسأل الله ان يجزي الجميع و يجعل علمنا هذا نافعا

و صلي اللهم على سيدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين

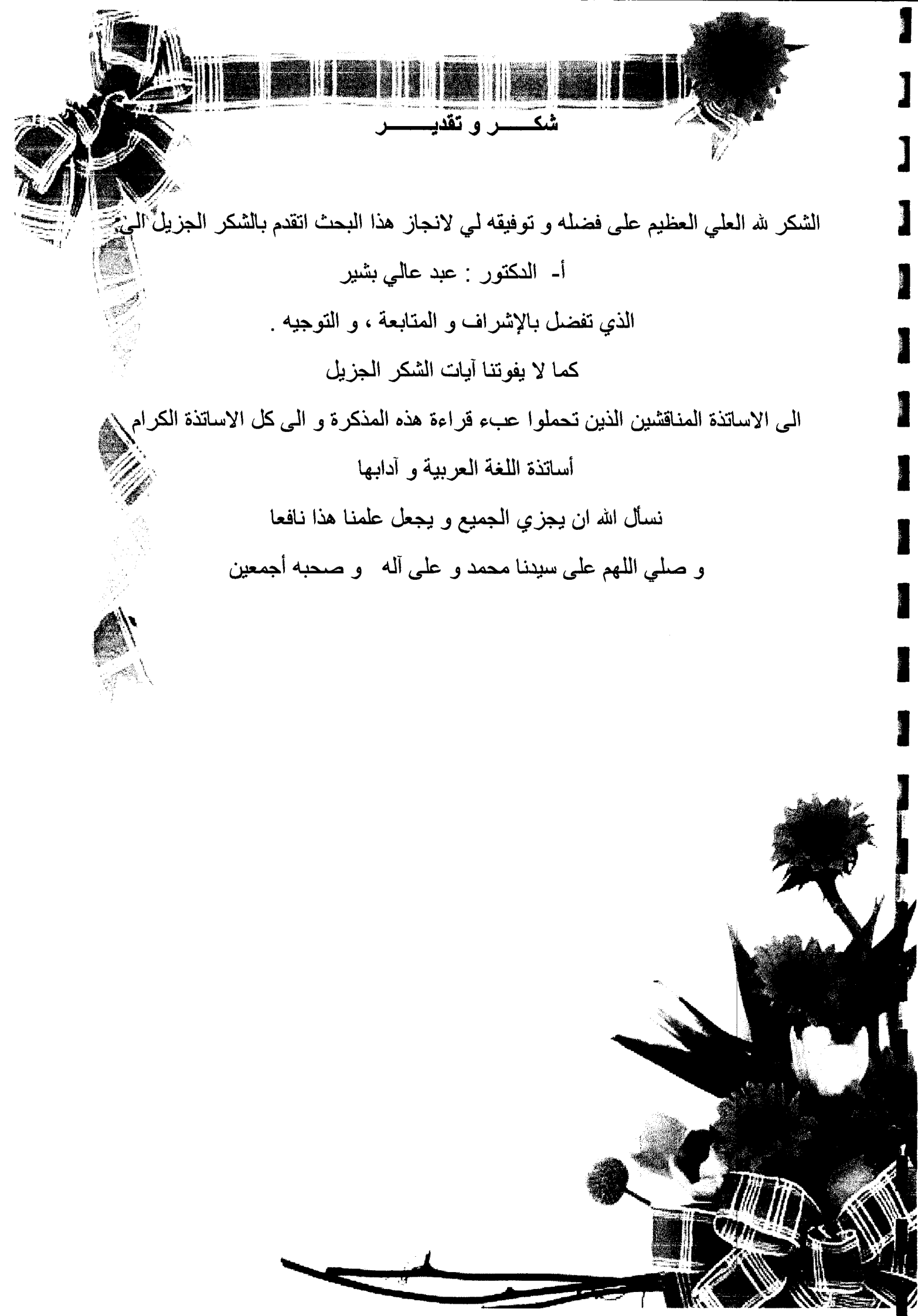

إهـــــداء

قال تعالى " و قضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه و بالوالدين إحسانا ".

أهدي هذا العمل المتواضع الى أمي التي حملتني و هنا على و هن ، الى من اقتربت طاعتها بطاعة ربي

- الى كل من شجعني على مواصلة الدرب

درب العلم و التعلم

أخص بالذكر زوجي العزيز

الى ابنائي : مريم ، محمد صلاح الدين ، يونس عبد الله ، هاجر ، زينب يسرى ، دعاء نائلة

مقدمـــــــة :

عرفت البشرية عبر التاريخ حضارات متعددة،غالبيتها على أسس عرقية ، قومية تستهدف السيطرة المادية لتحقيق السيادة و الرفاهية لهذا العرق على حساب غيرة من البشر ، إلا الحضارة الاسلامية قامت على أسس إنسانية أخلاقية تستهدف سعادة البشر في الدنيا و الآخرة ، إنها ليست حضارة قوم بعينهم و لكنها حضارة جامعة شاملة ، فأين تجلت نزعتها الانسانية و ما هي آفاقها ؟

لقد تكونت في رحم اسلامي و ليس في أي رحم آخر و أن بصمات كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم على حجيراتها ، و خلاياها ، و نبضها ، و جملتها العصبية أما سبب اختياري لهذا الموضوع يرجع بالدرجة الاولى الى ميلي الشديد الى مثل هذه الدراسات ذات الصلة بالدين الاسلامي ، و محاولة فهم القيم ، و المبادئ التي قامت عليها حضارتنا الاسلامية ، و لدراسة تاريخ الحضارة الاسلامية و قيمتها أهمية كبرى في توجيه الاجيال فهي تبين لهم أسباب قوة المجتمعات و ضعفها و بقائها و زوالها .

و قد اقتضى مني البحث أن أقسمه الى مدخل و ثلاثة فصول أين خصصت المدخل للحديث عن الحضارة الاسلامية و دور الدين في بناء حضارة الاسلام و تربية النموذج الفرد .

أما الفصل الاول فمضمونه " مفهوم الحضارة الانسانية "أبرزت فيه معنى الحضارة و مجالاتها و أهم الخصائص التي ميزتها عن باقي الحضارات الأخرى و أشرت في الفصل الثاني و الموسوم بالبعد الانساني في الحضارة الاسلامية تطرقت الى أهم الحقوق التي نالها الانسان بمجيء الاسلام و في ظل الحضارة الاسلامية و ما أنتجته من قيم إنسانية .

و ذكرت في الفصل الثالث بعض النماذج من الانسانية التي عرفتها حضارة الاسلام بدءا من مؤسس حضارتنـــــا "محمد صلى الله عليه و سلم"، و من خلفه من الصحـــــابة

و الخلفاء و الامراء و أشرت كذلك الى البعد الانساني الذي عرفته بعض المستشفيات في التعامل مع المرضى مبرزة بعض الجوانب الانسانية في هذا التعامل .

و ذيلت بحثي بخاتمة لخصت فيها أهم الملاحظات و النتائج التي توصلت إليها بعد الدراسة و للوصول الى الآفاق الانسانية اعتمدت على مجموعة من المصادر و المراجع أهمها :" أسس مفهوم الحضارة في الاسلام "لسليمان الخطيب و من " روائع حضارتنا لمصطفى السباعي " و ماذا قدم المسلمون للعالم للراغب السرجاني و الاسلام و الحضارة " لمحمد عبد الهادي أبو ريدة .

و أثناء انجازي لهذه الدراسة اعتمدت على المنهج التاريخي لوقوفي على بعض الاحداث التاريخية من الحضارة الاسلامية و التي تتعلق بالجانب الحضاري و استعنت بالمنهج الوصفي أين تعرضت فيه الى دراسة بعض النماذج و الامثلة الانسانية من حضارتنا العربية الاسلامية .

و رغم توفر الكتب المتعلقة بالحضارة الاسلامية إلا أنني واجهت بعض الصعوبات في إيجاد ما يتعلق بالجانب الانساني ، و رغم الصعوبات أنجزت بعون الله هذه المذكرة لإيماني بأنه كل من سار على الدرب و صل .

و في الختام أعيد شكري لأستاذي المشرف الاستاذ عبد العالي بشير ، فقد عوّدني الصبر و أخذني بالعمل الدائب ، و ردني مرة الى ما يجب أن يأخذ به الدارسون من المنهج العلمي ومن الروح العالية التي لا تضيق بالطرق الوعرة الشاقة .

أرجو أن أكون قد سلكت الطريق السليم في هذه الدراسة و أن أكون قد أثريت بحثي بالنافع و المفيد .

صورية زدون

تلمسان :2012/05/20م

نبذة عن الحضارة العربية الاسلامية :

تنوعت الحضارات التي شهدها العالم قبل ظهور الاسلام حيث أسهمت كل حضارة من هذه الحضارات بقسط ما في رقي الانسانية . ولكنها جميعا انساقت وراء الشهوات و الملذات فطغت و ظلمت فاستحقت بجدارة الانهيار الرهيب الذي حدث لها ، وشاء الله سبحانه و تعالى أن يختار"المنطقة العربية التي تميزت بموقعها الجغرافي و السياسي ، و الديني فهي على مفترق طرق بين قارات آسية و افريقية و أوروبا ، وهي ذات المواقع الاستراتيجية الهامة منذ فجر التاريخ شهدت بذلك ثلاثة أديان سماوية ، اليهودية ، و المسيحية و الاسلام ، اختصها بها الله دون سواها من مناطق العالم " [1].

و قد وضعت رسالة الاسلام حدا لعصر الجاهلية و افتتحت عصر النور. " ومن المهم أن نشير هنا الى أن كلمة الجاهلية لم تكن لتشير الى أن القوم كانوا جهالا ، فقد كان في الجزيرة العربية حضارة و كان لكثير من ممالكها ثقافة في الجانب الديني ، فجاء الاسلام ليضع حدا لهذه الضلالات ويدعوهم الى دين واحد والاه واحد"[2].

صحيح أن دعوة الاسلام " انصبت فيما انصبت فيه الى محاربة الوثنية ، و التأكيد على عبادة الله ، الأحد الصمد ، و لكنها في نفس الوقت نقلت مثالية العرب من صعيد الصحراء ، الى البشرية جمعاء ، ومن إطار القبيلة الى إطار الانسانية ، فوحدت بين القبائل في العمل و في الهدف ، و حولت غريزته و حيويته من الغرور و الصراع القبلي المحلي الى الجهاد في سبيل تحقيق العدالة ، و المساواة بين الناس ، وتحريرهم من مختلف أنواع العبوديات ؛ تحرير الرقيق من عبودية الرق ، و تحرير المرأة من الظلم الاجتماعي الذي سلبها حقوقها ، وتحرير الطبقات الكادحة من عبث الحكام "[3].

---

[1]- حسان حلاق ، "دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية "، دار النهضة العربية ، ط1 – 1989 – ص :7

[2]- سيف الدين الكاتب ، " أطلس تاريخ الحضارات – أطلس تاريخ العرب و الاسلام دار الشرق – العربي لبنان ، ط2 2007. ص 10.

[3]- أنور الرفاعي "الاسلام في حضارته و نظمه "دار الفكر دمشق الطبعة الثانية . 1982 : ص 63-64.

و على أساس الايمان بالإله الواحد الحق الذي يمســـك بقدرته نظام السمـــــوات و الارض و الايمان بالدين الذي جاء به "محمد " سيد الخلق صلى الله عليه وسلم " ، ومن عنده سبحانه و تعالى ، محكما بأدلته ، و برسالة الانسان على الارض ، الذي منح الله له العالم نعمة منه لأن تسخير الكون للإنسان لا يقف عند حد ، وعين له سبحانه و تعالى هدفين هما :

الاول : أن على البشر أن يسعوا في أرجاء الكون (ما) سخره الله من السنن الكونية ، و أن يعمروها سواء كانت حاجات مادية (من طعام و مأوى و راحـــــــة و انجاب) أم خلقية أم فكرية أم جمالية .

الثاني : أن البشر في عملية توجيه الخلقية نفسها و إعمارها أن يتحلوا بالقيم الخلقية فينتقوا منها ما يحقق ما يقتضيه الاخلاص لله و تحقيق الخير و العدالة للبشرية "[1].

و لما كان الاسلام يحترم الديانات السابقة ، و كان الخلفاء بفضل الاسلام أيضا يعظمون كل علم ، و حق ، و خير و رقي إنساني و يعرفون الفضل لأهله ، فإن ذلك دعاهم الى الاستفادة من مواهب الامم المتحضرة فمهدوا السبيل الى تعاون إنساني واسع النطاق "[2].

فالتفت عقول المسلمين و قلوبهم على عبادة الله ، و تضافرت جهودهم و إرادتهم على عمران الدنيا و إنشاء حضارة ". و لقد تميز الاســـلام بكونه دينا فجر حضـــــارة ، و صاغ مدينة ، و أثمر مجتمعا انسانيا ، و التف في نفس الانسان بالمنهاج التربوي الشامل ، ذلك الائتلاف المتوازن ، الذي جعله يبدع الحضارة المصطبغة بصبغة الدين، فكانت الحضارة الاسلامية من أثر انسان اكتسب و ضعا منسجما في ذاته آمنا على نفسه ، فصنع

---

[1]- اسماعيل فاروقي، " قضايا اسلامية معاصرة "، اسلامية المعرفة دار الهدى – الطبعة الاولى – 2001 ، ص 110.

[2]- محمد عبد الهادي – أبو ريدة " الاسلام و الحضارة " تحقيق بدير عون الهيئة المصرية العامة للكتاب – ط1 . 2011 جزء 3- ص : 131.

منال نفسه حضارة اكتسبها مما اكتسب ، و آفاء عليها مما أفاء الله عليه ، حتى فاقت بما فيها من انسجام غيرها من الحضارات" [1].

و لأن محتوى القرآن الكريم بأحكامه و إرشـــاده و قيمه و هدايته " فليس للعرب و حدهم ، و إنما هي رسالة للناس أجمعين آمنوا بها من كل جنس و دخلوا فيها من كل صوب ، بل إن علماء الاسلام لم يكونوا جميعا من العرب ، هذا إذا لم يكن أكثرهم من غير العرب و ليس في ذلك كبير غضاضة فقد سوى الاسلام بين الناس جميعا فجعلهم كأسنان المشط" [2]. حتى إذا تهيأت الظروف المناسبة و استقرت الدولة و بدأ العمل الحضاري ، اشتغل المسلمون بالعلم ، فطلبوا التراث العلمي للأمم ، وعكفوا على دراسته وفهمه و نقده بحسب معايير قرآنية – هي معايير العلم الصحيح على المنهج الصحيح - ثم لم يلبثوا أن استقروا بالتفكير و البحث و جاءت إبداعاتهم العلمية الفلسفية التي هي في الحقيقة أروع مظاهر حضارة الاسلام ، ولا شك أن حضارة الاسلام العلمية و الفلسفية ترجع في الباعث عليها و في كثير من أصول المعرفة و منهج تحصيلها ، الى توجيهات القرآن ، ونحن بعد هذا لا نحتاج الى التنبيه الى أن كثيرين من الاوروبيين الذين كتبوا عن حضارة الاسلام لم يتفطنوا الى ذلك ، رغم معرفتهم التاريخية الواسعة بحضارة الاسلام و مشاهدتهم لمعالمها ، وذلك لأنهم لا ينظرون في الغالب إلا الى المظاهر ، و لا يذهبون الى الاسس و البواعث الاصلية " فإبان الحكم المسيحي مثلا " كانت الاديرة السريانية مقفرة ، مجدبة ،و كان رهبانها يحيون حياة من يعيش ليأكل ، لكن لما أظلها الاسلام لثقـــافته و حضارته اينعـت و ازدهرت إبان الدولة الاسلامية " [3]

[1]- روح الحضارة الاسلامية ،" محمد عمارة " حراء " مجلة علمية ثقافية ، مصر العدد ، 20 سبتمبر 2010.
[2]- مصطفى الشكعة، "معالم الحضارة الاسلامية "، دار العلم للملايين ط1 ، 1982 ص :15
[3]- محمد عبد الهادي ، أبو ريدة ن"الاسلام و الحضارة
.ص124- 130.

ليست الثقافة الفارسية هي التي جاءت الى العالم بأمثال الرازي و ابن سينا لكنها الثقافة العربية هي التي أرضعت هؤلاء من لبانها و هي التي نشأتهم النشأة العلمية بالرغم من أنهم انحدروا من أصل فارسي "[1]

و إذا كان العرب قد شعروا أنهم دون هذه الامم علما ، و فلسفة، و نظما، سياسية ،و اجتماعية ، و اقتصادية ، فإنهم تغلبوا على هذه الامم حربيا و تغلبوا عليهم بنشر لغتهم و دينهم و ما لبث لإسلام أن أصبح دين الغالبية العظمى من السكان ، وما لبثت اللغة العربية أن طغت على سائر اللغات المحلية و سادت ، و أصبحت الأداة لنشر الثقافة و الحضارة بين هذه الامم ، بعد أن زادت في مادة لغتها ، و تركيبها و أساليبها مما دعا اليه ارتقاء الحضارة و أصبح كل متأدب من أي جنس ، إنما يجري حكمته أو أدبه أو شعره او فلسفته و علمه بالعربية"[2] .

ولأن عظمة الحضارة الاسلامية و تكاملها لم تغفل عامل الجمال كقيمة مهمة في حياة الانسان " لذا اعتبرت الفنون بصفة عامة مظهرا من مظاهر الثقافة السائدة في المجتمع أو بصفة خاصة فإن الفن الاسلامي يعد من أنقى و أدق صور التعبير عن الحضارة الاسلامية بل مرآة ناصعة للحضارة الانسانية و هناك صور و أنواع متعددة لهذه الفنون التي اصطبغت بالطابع الاسلامي فن العمارة ، و فن الزخرفة و فن الخط العربي" [3].

انطلقت العمارة في الحضارة الاسلامية من المسجد " الذي هو البدء و المنتهى و الذي اكتسب ملامحه الاساسية من طبيعة وظيفته التي أريد له أن يؤديها و انتهاء بالمدن الاسلامية المنتشرة في مشارق الارض و مغاربها : بخارى ،و سمرقند ، ودلهي ، و أصفهان ، و بغداد ، و إسطنبول ، و دمشق ، و القاهرة ، وفاس ، وقرطبة، و غرناطة ، و اشبيلية ، تلك التي وضعت حجارتها الاساسية باسم الله ، بدءا من أعماق تركستان

[1]- زغريد هونكة ،" شمس العرب تسطع على الغرب "، ترجمة و تحقيق فؤاد حسنين علي ، مكتبة رحاب الجزائر، د ط ،1986- ،ص 274.

[2]- أنور الرفاعي ، " الاسلام في حضارته و نظمه" ، ص : 568 - 567.

[3]- راغب السرجاني " ماذا قدم المسلمون للعالم " مؤسسة اقرأ بالقاهرة ط5 – 2010 – ج 2 – ص :595 .

و انتهاء بالحمراء في الاندلس ، مرورا بحافات الصحراء حيث أقيمت المدن الاولى بمواجهة تحديات الامتداد و الفناء : البصرة و الكوفة، و الفسطاط ، و القيروان ...

و رغم أن المعماريين المسلمين تأثروا بالنماذج الرومانسية الفارسية و البيزنطية فإنهم مع ذلك و فقوا دائما الى إبداع آثار لا ريب في سمتها الاسلامية الخالصة "[1].

الواقع أن الفن الاسلامي يعني جميع الجهود التي " بذلها العالم الاسلامي خلال عشرة قرون على الاقل في التعبير عن الجمال و صنع الاشياء الجميلة ، و ازدادت المدارس الفنية الاسلامية تميزا رغم تشابهها ، و يبدأ كل قطر يخلف أشكاله الفنية الخاصة ، و معظمها من الابنية واضعا في مخططها و ألوانها و هندستها، و زخرفتها شخصية المحلية المستقلة" [2] .

واستخدم العرب الخط العربي ، بأنواعه المختلفة في التزيين وتفننوا في اختبار الآيات، و الحكم ، و الاشعار للزخرفة بها ومن العبارات التي اشتهرت بها الزخرفة الاندلسية : "لا غالب إلا الله" و لقد أهمل الفن الاسلامي الاشكال الانسانيـــة و الحيوانيـــة و خاصة في أماكن العبادة.

وليس الجامع وحده ، إنما المعطيات المعمـــارية كافة كانت تخفق بالنبض نفســـه ، و تعتبر عن رؤية إسلامية أصيلة و متميزة ". [3]

و على أية حال ، كما يؤكد مؤرخ الفن المعروف "جورج مارسيه " فإنه يكاد لا يوجد في البلاد الاسلامية منشآت عامة أو خاصة لا تحمل طابع الدين ، فلقد تغلغل الاسلام في الحياة البيئية ، كما دخل حياة المجتمع ، و صاغت الطبـــائع التي نشرها شكـــل البيوت و النفوس "[3]. و هكذا "فإن الاسلام و ضع طابعه على إطار الحياة اليومية ، و حتى عندما

[1]- عماد الدين خليل ،" مدخل الى الحضارة الاسلامية "، الدار العربية للعلوم . ط1 ،2005 ، ص:93-95.
[2]- أنور الرفاعي "الاسلام في حضارته و نظمه " ص :327.
[3]- الفن الاسلامي ، ترجمة عفيف بهنسي ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق – 1968م . ص:15.

يكون الفن مطبقا في أمور دنيوية ، فإن فن البلاد الاسلامية يبقى فنا مسلما "[1]، ارتبط بشكل حميم و كما هو الحال بالنسبة للعديد من مفردات الحضارة الاسلامية برؤية هذا الدين الامر الذي دفع "أوليغ غرابار " الى القول بأنه "نقل بصري لرؤية العقيدة الاسلامية الكونية "[2].

و إذا كانت الحضارة الاسلامية " قد مارست انفتاحا عقلانيا على تراث المعارف السابقة ، و إذا كانت قد حورت ،و فسرت ،و شرحت ،و أضافت و ابتكرت ،و أغنت ، فإنها مارست انفتاحا انسانيا يتجاوز تقاليد الانغلاق على الذات و يرفض الانانية و الغرور" [3].

لقد فتح المسلمون صدورهم لكل علم ، أية كانت الجهة التي قدم منها ، و فتحوا أبوابهم و نوافذهم على مصارعـها لكي يخرج منها الضوء الجديد ، يغطي قارات العـالم و يمنعها النور...

لقد و ضعوا كشوفهم و معطياتهم امام الجميع و نادوا بأعلى صوت : إن من يريد أن يأخذ فإن الطريق مفتوح... "[4].

إذ لا بد للإنسان المسلم من مراعاة تعاليم دينه و أخلاقياته " فيما يكتسبه من معارف و علوم ، بل و في استخداماته و تطبيقاته لهذه المعارف و العلوم ، حتى لا تنقلب هذه المعارف الى آلية مجردة عن الانسانية ، ومادية ضيقة ، أو أداة للقتل و التدمير ، كما نشاهد في تجارب التطبيق العلمي في الحضارة الغربية التي تستخدم العطاء العلمي في ميادين الفتك و الابادة ، و السيطرة الاستعمارية دونما ارتباط او تمسك بأي قيم دينية أو أخلاقية" [5].

---

[1]- المرجع السابق :ص 16-17.

[2]- غارودي روجيه " و عود الاسلام ترجمة ذوقان قرقوط "، الوطن العربي القاهرة – بيروت ،دط، 1984 :ص 153.

[3]- عماد الدين خليل "مدخل الى الحضارة الاسلامية" . ص :130.

[4]-المرجع نفسه ، ص:131.

[5]- سليمان الخطيب "أسس مفهوم الحضارة في الاسلام "، ديوان المطبوعات الجامعية – د ط . الجزائر 1990.ص:277.

لقد اهملت تهذيب الانسان التهذيب الروحي الذي هو جوهر الاسلام ، فكانت الحضارة الاسلامية الثمرة الاولى ، و الكبرى للإسلام في الحياة ، ويساعد على أن يجعل لنفسه ، و للجماعة الانسانية أسمى درجة في المجال الانساني في الروح ، و الخلق و المادة و العقل " [1].

إن حضارة الغرب أفقدت الانسان شخصيته و أدخلته الى فردية حيوانية و أفقدته الوعي الاجتماعي الكبير ، ذلك لأن النظرية الغربية الرأسمالية تتجه الى الفردية ، و الفرد لا الاسرة لكن حضارة تعترف بالقيمة الذاتية للأفراد ، فالإخوة في الاسلام تهب للإنسان قوة و امنا و مجالا للوعي المشترك ينتج عنها ذلك النوع من الترابط الذي يتجاوز حدود الاوطان و الاجناس "[2].

إن المفاهيم الاسلامية " للكون و الحياة و الانسان و مصيره و مكانته و قيمته قائمة على أسس ثابتة ،لا مجال فيها للشك و التردد و لا مكان فيها للصراع و الجبروت بين الافراد و الجماعات ، و إنما هي واضحة المعالم سائرة على سنن ثابتة و أهداف محددة من لدن المدبر الحكيم مبنية على التعاون المتبادل" [3] .

و أهم ما في الأمر تكوين و تربية نموذج الفرد المسلم " ذي الروح الاسلامية المستثيرة بأنوار الفكر و المعرفة و الثقافة المتكاملة ، وهذا النموذج المتكامل الذي تتسع له الطاقة الحضارية الاسلامية إن الله الذي هو " على كل شيء قدير و الذي جعل رسوله شهيدا على الامة التي اختارها لخاتمة رسالته حيث يقول سبحانه و تعالى " وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا "[4]. يريد من الامة الاسلامية أن تكون

[1]- عبد الفتاح مقلد الغنيمي، " الحضارة الاسلامية و و تحديات القرن الواحد و العشرين ، مكتبة مدبولي – ط1. 1990.ص:55

[2]- المرجع نفسه ، ص:86-87.

[3]- إدريس خضير . "فلسفة الاقتصاد في الاسلام ". ديوان المطبوعات الجامعية .د.ط-1982 . ص :131.

[4]- (البقرة :143)

شهيدا على الامم بالحضارة التي تنشأنها "باسم الله" وفيها تتحقق المبادئ وز القيم التي جعلها الله أسسا لعمران الدنيا"[1] .

لهذه الاسباب ظلت حضارتنا مزدهرة عدة قرون فكانت منارة شاهقة عالية في عنان السماء ارتفعت يوما من الربوع الاسلامية لتشمل العالم المعاصر لها، بفضل تعاليمها السامية و بروح المحبة و التسامح ، ففي الاسلام و حضارته سلامـــة و اطمئنان للإنسان و الانسانية.

"حقا ان الاسلام و الحضارة التي تعبر عنه بالضرورة ليحملان بذور تغيير جدري على مستوى الانسانية "[2].

[1]- محمد عبد الهادي – ابو ريدة – "الاسلام و الحضارة" ص :151.
[2]- غارودي روجيه " و عود الاسلام " ترجمة ذوقان قرقوط ، الوطن العربي ، القاهرة – بيروت – 1984 – ص :156.

الفصل الاول : مفهوم الحضارة الانسانية

- تعريف الحضارة
- لغة و اصطلاحا
- مجالات الحضارة الاسلامية
- الوحدانية المطلقة
- إنسانية النزعة
- العالمية
- المبادئ الاخلاقية
- المزج بين المادة و الروح
- الحث على العلم .

لعل من أكثر الأمور صعوبة في هذا الموضوع هو الاختلاف البين بين المفكرين حول تعريف الحضارة و ما تشمله من معان وأطر ، وسوف نحاول في هذا الفصل الإشارة إلى بعض هذه التعاريف :

أ- الحضارة في اللغة:

جاء في المعجم الوسيط الحضارة بكسر الحاء فتحها تعني الإقامة في الحضر، وأن مظاهر الرقي العلمي و الفني والأدبي والاجتماعي في الحضر"[1] ، وفي تاج العروس... « الحضارة والحضرة و الحضر هي المدن والقرى والريف، سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار، ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار"[2]

نستنتج مما سبق أن ألفاظ الحضارة قد وردت في : المعاجم العربية بمعنى الإقامة في الحضر، فالحضارة إذن مظهر من مظاهر الرقي و التمدن.

ب- الحضارة في الاصطلاح :

أما ابن خلدون* في تعريفه للحضارة : « هي التفنن في الترف، وإستجادة أحواله، والكلف بالصنائع التي تؤنق من أصناف وسائر فنونه، من الصنائع المهيأة للمطابخ أو الملابس أو المباني، أو الفرش، أو الأواني، ولسائر أحوال المنزل ويلزم هذا التأنق صناعات كثيرة »[3].

ومن المفكرين من نظر إلى الإنسان نفسه، واعتبر أن رقي الإنسان في سلوكه، وأخلاقه، ومعاملاته هو الحضارة وهو اتجاه جميل لاشك يقدر قيمة الإنسان ويرفعه فوق المادة، ويهتم بالفكر والعاطفة معا، ومن هؤلاء مالك بن نبي ** الذي يعرف الحضارة بقوله « إن الحضارة هي مجموع الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح

---

[1] -المعجم الوسيط ، معجم اللغة العربية القاهرة ، مجمع اللغة العربية القاهرة 1960 ، المجلد الأول ص: 170

[2]- الزبيدي محمد مرتص، تاج العروس مصر – المطبعة الخيرية ط1 – جزء 3 ، ص : 146 .

[3] - إبن خلدون ، المقدمة تحقيق علي عبد الوافي مطبعة دارالشعب د.ط- د.ت/ ج 1/ ص: 369 .

* ابن خلدون: هو أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن خلدون 808 هـ فيلسوف مؤرخ وعالم إجتماعي.

** مالك بن نبي ، ت 1973 ، مفكر جزائري تخصص في الكتابة عن الحضارة و النهضة الإسلامية.

لمجتمع معين أن يقدم لكل فرد من أفراده في كل طور من أطواره وجوده ، منذ الطفولة إلى الشيخوخة، المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذاك من أطوار نموه » [1].

ويرى المودودي أن الناس يظنون حضارة أية أمة عبارة عن علومها، وآدابها وفنونها الجميلة وصنائعها وبدائعها وأطوارها للحياة المدنية والاجتماعية والسياسية ولكن الحقيقة أن ليست كل هذه الأمور بالحضارة ذاتها ، وإنما هي نتاج الحضارة ومظاهرها ، وما هي بأصل الحضارة، وإنما هي أوراق شجرة الحضارة وثمارها....

إذا صح هذا فلا يجوز أن نحدد وزن حضارة وقدرها وقيمتها على أساس مالها من هذه الصور الظاهرة والملابس العارضة، وإنما علينا أن نتوصل إلى روحها ونتحسس أصولها، صارفين النظر عن كل هذه الصور الظاهرة والملابس العارضة" [2].

أما جوستاف – لوبون – فيعرفها بقوله :« هي نضوج الآراء والمبادئ والمعتقدات وتغير مشاعر الإنسان إلى الأفضل » [3].

فهذه التعريفات كلها تدور حول الاهتمام بالإنسان داخليا، ومدى رقي أفكاره وأخلاقه، ولا نقصد أن تعريف ابن خلدون استبعد في تعريفه للحضارة الأخلاق و القيم منها حيث أنه يثبت لها دورا أكيدا في بناء الأمم، فلفظة الحضارة عنده مجرد تصف الحياة في الحضر.

لقد تعددت تعريفات الحضارة وتنوعت تبعا لذلك دلالاتها بتنوع تعريفاتها، فقد رأى بعض الباحثين كذلك أن الحضارة هي مدى ما وصلت إليه أمة من الأمم في نواحي نشاطها الفكري والعقلي من عمران، وعلوم ،وفنون ،وما إلى ذلك ، والرقي بها في مدارج الحياة ومسالكها حتى تصل إلى الغاية"[4] .

---

[1] -مالك بن نبي ، وجهة العالم الإسلامي، دار الفكر ، بيروت ط2، 1970 ، ص : 38.

[2]- أبو الأعلى المودودي، الحضارة الإسلامية، أسسها ومبادئها، دار الأنصار ، القاهرة : د .ط .د. ت ص: 6

[3]- راغب السرجاني ، ماذا قدم المسلمون للعالم ، مؤسسة إقرأ القاهرة ط 5 ، 2010 ، ص6

* جوستاف لوبون ت 1931 مستشرق فرنسي من أشهر كتبه – حضارة العرب -

[4]- شلبي أبو زيد تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي ، القاهرة ، مكتبة وهبة ط 7 ، 1996 م ، ص : 7

وهذا يعني أن الحضارة حسب هذا التعريف تختص بالجانب المادي فقط.

وقد عرفها مجموعة من الألمان من بينهم إتناو ، توماس مان ، كسيرلنج ، "بأنها المظاهر الفكرية التي تسود أي مجتمع وهذا يعني أن الحضارة قد تأتي مرادفة للثقافة ومقصرة على الجانب الفكري أو المعنوي فقط.

وفي كلا الحالتين نلاحظ أن الحضارة قد قصرت على جانب واحد فقط ، فلم يتم الإحاطة بكلا الجانبين المعنوي و المادي وهذا يدعونا إلى اختيار تعريف آخر للحضارة يشمل كلا هذين الجانبين وعليه تكون الحضارة هي الجهد الذي يقدمه مجتمع من المجتمعات لخدمة المجتمع البشري في جميع نواحي حياته المعنوية والمادية ". [1]

بناءا على ما سبق نستطيع القول إن الحضارة تتضمن جانبا معنويا يتمثل في الثقافة التي تعني بالقيم الثابتة والمبادئ الراسخة التي تقوم عليها الحضارة ، وجانبا ماديا يتمثل في المدينة التي تعني بالجانب المادي البحث للحضارة" [2].

مجالات الحضارة الإسلامية :

وبإحصاء صور التقدم والرقي عند الإنسان المسلم يمكننا أن نحصرها في مجالات ثلاث:

*** المجال الأول**: هو ما يخدم الجسد و يمتعه من وسائل العيش، وأسباب الرفاهية والنعيم.

ويدخل في هذا المجال أنواع التقدم العمراني، والزراعي والصناعي والصحي ، الأدبي ،والفني ، والإنتاج الحيواني ،والاستفادة من كنوز الأرض والطاقات المنبثة فيها، وما أشبه ذلك "[1] .

[1]- سليمان الخطيب ، أسس مفهوم الحضارة في الإسلام ديوان المطبوعات الجامعية ، د – ط 1990 ، ص: 25.
[2]- سعيد همام عبد الرحيم وآخرون – الوجيز في الثقافة الإسلامية بيروت، دار الفكر ، ط ، 2005 ، ص 30-31.

فالسبيل الطبيعي للمجال المادي لصور التقدم والرقي عند الإنسان هو استخدام العقل في البحث العلمي، والاختبار والتجربة ، و الممارسة التطبيقية العلمية ، مع الملاحظة الدقيقة لجوانب الخطأ والنقص ، وما يستدعيه الكمال.

*** المجال الثاني** : هو ما يخدم المجتمع الإنساني ، ويكون من الوسائل والأسباب التي تمنحه سيادة النظام والعدل والحق ، وانتشار الخير والفضائل الجماعية ويدخل في هذا أنواع التقدم الاجتماعي الشامل للنظم الإدارية والحقوقية ، والمادية ، والشامل للأخلاق والتقاليد، والعادات الفاضلة ، وسائر طرق معاملة الناس ببعضهم بعضا في علاقاتهم المختلفة ، وكل أنواع العلوم والثقافات التي تخدم المجتمع الإنساني والتي يمكن حصرها في سبيلين :

أولا : التلقي التعليمي عن طريق الوحي ، وذلك في كل ما تكلفت به الشرائع الربانية ببيانه، ولا يعدل عن ذلك إلا متنكب.

ثانيا : استخدام العقل في البحث العلمي والتجربة والاختيار مع الملاحظة الدقيقة لجوانب الخطأ والنقص وما يستوعبه الكمال"[2] .

*** المجال الثالث** : هو ما يخدم الجانب الروحي، ويأخذ بيد الإنسان إلى تحقيق السعادة الحقيقية في الحياة الدنيوية والبرزخية والأخروية، ويدخل في هذا المجال أنواع التقدم الفكري القائم على التأملات الحكمية التي تحمل إسم المعتقدات ، والواجبات الدينية وسائر التكاليف والآداب الشرعية الإسلامية، قال تعالى: « فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ».[3]

والسبيل إلى تحقيق التقدم والرقي في هذا المجال إنما يكون بالتلقي العلمي عن طريق الوحي فقط، وبديهي أن تلقي ما يأتي به الوحي لابد أن يرافقه إعمال العقل في

---

[1]- الميداني ، عبد الرحمان حسين حبنكة ، أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها ،دار القلم ، دمشق ،ط1 ، 1997 ص: 11

[2] -النجار مصلح بن عبد الحي، الوافي في الثقافة الإسلامية، مكتبة الرشد الرياض ، د . ط 2006 ، ص : 160 .

[3] - (النحل: 97)

التأمل ، والفهم الصحيح ، والتحليل والاستنباط، ولا بد أن يصاحبه أيضا إعمال العقل في التحقيق والتثبت من سلامة النصوص من التحريف والتبديل[1].

وهناك في اعتقادنا سبل لتحقيق التقدم والرقي الحضاري:

1- ما ينزل به الوحي من القرآن والسنة .

2- ما يتوصل إليه العقل بالبحث العلمي.

3- ما يكتسبه الإنسان عن طريق الاختبار والممارسة التطبيقية.

وبالنظر إلى الثمرات التي يجنيها الإنسان من كل مجال من مجالات التقدم والرقي السابقة لابد أن نلاحظ أن سلم الرقي مرتب الدرجات بشكل تصاعدي بدءا من المجال الذي يخدم الجسد، ثم إلى المجال الذي يخدم المجتمع الإنساني ، ثم إلى المجال الذي يخدم الروح، وبذلك يكون سلم الرقي الإنساني والحضارة المثلى ذات مراتب ثلاث أعلاها مرتبة ما يخدم الروح، ويأخذ بيد الإنسان إلى السعادة الحقيقية ومن دونها تأتي مرتبة الرقي الذي يمنح المجتمع الإنساني سعادة ، التعاون والإخاء والأمن والرخاء، وسيادة النظام ، والحق ، والعدل ثم تأتي من دونهما مرتبة الرقي المادي الذي يخدم الجسد ويمتعه. [2]

خصائص الحضارة الإسلامية :

من الوجهة الإنسانية :

من أولى هذه الخصائص أنها قامت على أساس الوحدانية المطلقة العقيدة ونادت بالاله الواحد الذي لا شريك له، قال تعالى :« قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ

[1] -المرجع السابق ص: 161 .
[2] -الميداني عبد الرحمان حسن حبنكة ، ص 13 .

يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)» [1] . فهو وحده الذي يعبد ولا يستعان بأحد إلا به ، فهذا السمو في فهم الوحدانية كان له أثر كبير في رفع مستوى الإنسان وتحرير الشعوب من طغيان الملوك المستبدين، والأقوياء الظالمين ورجال الدين المستغلين ، فهذه الوحدانية المطلقة رفعت مستوى الإنسان وصححت العلاقة بين الحاكمين والمحكومين ، ومن هنا تميزت الحضارة الإسلامية عن كل الحضارات بخلوها من مظاهر الوثنية ، وفلسفتها وآدابها في العقيدة، والحكم والفن والشعر والأدب فكان إغفالها الفني النحت ، والتصوير مع تبريزها في فنون النقش، والحفر والزخرفة في البنا. "[2]

ومن أبرز خصائص الحضارة الإسلامية أنها **إنسانية النزعة** والهدف ، عالمية الأفق والرسالة ، فالبشرية تنتمي لأصل واحد وعائلة واحدة فكلنا من آدم وآدم من تراب.

ومن خصائصها كذلك أنها جعلت للمبادئ الأخلاقية الاعتبار الأكبر في كل نظمها ومختلف ميادين نشاطها، كما أن الحضارة الإسلامية سوت بين الناس جميعا ، فالكل متساوون أمام القانون ، فلا تمييز بين خليفة ومواطن، ولا بين غني وفقير، أو بين قوي ، ولا بين أبيضولا أسود.

1- النزعة الإنسانية :

وتستهدف **النزعة الإنسانية** في الشريعة والحضارة الإسلامية إلى تحقيق الخير للإنسان في الدنيا والآخرة، والرحمة به والحفاظ على كرامته ، "والنهوض بمثواه الروحي والفكري ، لذلك فإن الحضارة الإسلامية أسهمت في إقامة صرحها من عباقرة جميع الأمم والشعوب ، فأبو حنيفة ، ومالك ، والشافعي وأحمد بن حنبل والكندي ، والغزالي والفارابي وابن رشد وابن خلدون ممن اختلفت أصولهم ، وتباينت أوطانهم

[1]-(الإخلاص : 1-4).
[2]- مصطفى السباعي – من روائع حضارتنا ، ص: 105 – 107

ليسوا إلا عباقرة قدمت فيهم الحضارة العربية الإسلامية إلى الإنسانية أروع نتاج الفكر الإنسان السليم " [1] .

وفي الحضارة العربية الإسلامية" الإنسان سيد الكون ، ومهندس الحضارة وبناءا على تلك الحقيقة اختصت الحضارة الإسلامية بالطابع الإنساني، فكان الإنسان هو محرر هذه الحضارة في الجيل الأخير، وهنا يبرز الجانب الإنساني بحيث لم توظف هذه الحضارة ونتاجها في التدمير والتخريب كما هو الحال بالنسبة لحضارة المغول، وكذا الحضارة الغربية المعاصرة بل كانت حضارة بناء و عمران انطلاقا من الرؤية القرآنية التي ترى في الإنسان خليفة الله على الأرض المنوط به عمرانها وازدهارها" [2]. قال تعالى : « وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ»[3].

ولكن تطور وتقدم العلوم الطبيعية في القرون الأخيرة ، قد زعزع من تملك الشعور الديني من النفوس، وقامت دعوات عديدة تركزت في معظمها على عطاء ما أحرزه الإنسان في حقول العلوم التجريبية والطبيعية وقد حاولت هذه الدعوات تفسير الظاهرة الإنسانية وفق المقاييس المادية والعلمية ، فقد حدت تطور غير متكافئ في محيط الإنسان المادي بالقياس إلى تطوره الروحي مما كان سببا في حدوث ضرب من عدم التوازن بين عطاء علم التجريبي، وقيم الإنسان الروحية والأخلاقية وذلك لأن اتجاه العقل الحديث في العالم الغربي ، قد وضع العلم التجريبي المرتكز على الحواس ، والمشاهدة في مواجهة الدين، فظهرت النظريات العلمية والفيزيائية ... وبرزت المذاهب الإلحادية، وما يصل بها من النزعة الإنسانية humanisme* التي تجعل الإنسان وحده هو سيد مصيره دون سند خارجي، أو حقيقة علوية" .[4]

---

[1] -المرجع السابق ص : 66.

[2]- محمود إسماعيل "تاريخ الحضارة الإسلامية "، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت ط 3 ، 1992 ص: 25

[3]- (المائدة 87) .

* النزعة الإنسانية humanisme هي إتجاه فكري عام تشترك فيه العديد من المذاهب الفلسفية والأدبية والأخلاقية والعلمية وهذه النزعة نسق من الأراء المبنية على إحترام كرامة الإنسان والإهتمام برفاهيته وتطوره الشامل، فهو يعلن حرية الفرد، ويدافع عن الإنسان في التمتع وفي اشباع الرغبات والحاجات الدنيوية ويستخدم إصطلاح المذهب الإنساني لوصف ثقافة وإيديولوجية ثقافة عصر النهضة (الموسوعة الفلسفية ، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة، بيروت ط . ح 1980) .

ولقد برزت آثار الحضارة الأوروبية المعاصرة والتي وصلت إلى قمة الحضارة المادية وسارت شوطا بعيدا في تطبيق المناهج العلمية التجريبية على الحياة الإنسانية بدون اعتبار للخصائص الإنسانية الأصيلة التي تفرق بين الإنسان والآلة "[1].

إن **النزعة الإنسانية** في الإسلام تعلي من قيمة الإنسان وتعتبر حريته وإرادته شرطا لصحة عقيدته الإيمانية كما أن الإسلام لا يهمل الحياة الدنيا والتمتع بخيرها، ولكن كل هذه القيم، تتم وفق القيم العقيدية الإسلامية وليس بمعزل عنها، هذا بخلاف النزعة الإنسانية والمذاهب الإنساني وفق التطورات الغربية التي تجعل من العقل الإنساني- وحده- هو المشرع والموجه لحركة الإنسان الحضارية بعيدا عن القيم الدينية الأصلية "[2].

وبهذا يتأكد أن الإسلام دين ونظام كامل وبوصفه أكثر من إيديولوجية أي بوصفه أكثر من إنسانية حقيقية خلقت مجتمعا استثنائيا ومن نوعية خاصة ،" وولدت ذهنية كما ولدت سلوكا خلقيا يصعب وضعه داخل حدود الأطر التي رسمتها الفلسفة الغربية، إنسانية تتجاوز التوحيد المطلق دون أن تستبعده، وتضفي على الإنسان عظمته الحقيقية ، ويوصي الإسلام الإنسان بأن يقدم ما هو روحي ، ويفرض عليه في الوقت نفسه حدودا معينة وواجبات جد إلزامية لا غنى عنها لتوازن الشخص والجماعة ، ولا يمكن أن نفهم الأخلاقية الإسلامية حتى على مستوى الفرد إلا تبعا للقرآن الذي هو جوهرها والذي يشكل حمالة العواطف" [3].

إنها حضارة الوسطية المتوازنة الجامعة .

- الجامعة بين الفرد والطبقة والأمة ، فالإسلام دين الجماعة.

- والجامعة بين الدول المدنية والمرجعية الإسلامية.

---

[4] - سليمان الخطيب ، أسس مفهوم الحضارة في الإسلام ، ص : 62 .

[1] - سيد قطب ، الإسلام ومشكلات الحضارة ،دار الشروق بيروت د ، ط ، 1399 هـ، ص: 7- 8 .

[2]- سليمان الخطيب أسس مفهوم الحضارة في الإسلام ص: 70.

[3]- مارسيل بوازار إنسانية الإسلام ،ترجمة عفيف دمشقية ،منشورات دار الأدب ط1 : 1980 ص: 141 – 142

- الجامعة بين الوحدة في العقيدة ، والشريعة والحضارة والأمة ودار الإسلام ..."[1]

وهكذا نجد أن إسلامية حضارتنا هي عين إنسانيتها .... إنها الكلمة السواء التي إليها ندعو عقلاء كل الحضارات في عالمنا المعاصر ، وهي طوق نجاتنا لعالم اليوم من هذه الصراعات والحروب المدمرة .

نستشف مما سبق أن الحضارة الإسلامية هي حضارة إنسانية ، فهي عندما "تدعو الناس إلى لبها وجوهر مكوناتها ، وهو دين الإسلام، إنما تدعوهم إلى الدين الجامع للشرائع والملل والنبوات والرسالات .... أي إلى كل مواريت الإنسانية في الدين والتدين عبر التاريخ الإنساني الطويل ...

أي إنها جاءت لتنتقل من ضيق الأفق المحلي إلى إستشراف الأفق الإنساني، وعن هذا المعنى عبر ربعي بن عامر التميمي في جوابه عن سؤال رستم ..... قائد الفرس الأكاسرة :

ما الذي جاء بكم ؟

فكان جواب ربعي :

« إن الله إبتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام »[2].

وإذا رجعنا إلى أصول عقيدة المسلمين نجد أن القرآن الكريم يشير إلى أن الأمة الإسلامية مؤهلة أكثر مما عداها للقيام بالدور الحضاري وقادرة على حمل لواء هذا الدور :

1- ما أثبته الكتاب الكريم ونص عليه بوضوح من استعداد الأمة الإسلامية للقيام بهذا الدور في آياته المحكمات :« كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ

[1] -محمد عمارة ،"الإسلام في مواجهة التحديات" ، نهضة مصر ، ط2 ، 2008 م ص: 162.
[2] -المرجع نفسه ،ص: 160.

الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ [1] ثم الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ [2] ، ثم وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا »[3] فكلما كانت الحضارة عالمية في رسالتها ، إنسانية في نزعتها خلقية في اتجاهاتها، واقعية في مبادئها ، كانت أخلد في التاريخ وأبقى على الزمن، وأجدر بالتكريم.

2- إن المسلمين أصحاب حضارة روحانية إيجابية بناءة تلازم الجندي في حربه، والعامل في مصنعه ، والعالم في درسه ، والفيلسوف في بحثه والقاضي في محكمته، روحانية تسمو بالإنسان من كمال إلى كمال، وتذكره بالله الذي خلقه ، وأنه جزء من الناس الذين يعيش معهم ، ومن العالم الذي هو جزء منه في وحدته الكبرى.

3- أثبت المسلمون في الماضي قدرتهم على إنشاء الحضارة الإنسانية المثلى ، وإن منصفا لا ينكر أنها كانت أفضل الحضارات رحمة بالناس ، وسموا بالخلق وعدالة في الحكم ، وإشرافا في الروح ، واقترابا من المثل الأعلى للإنسان في مختلف عصوره وأطواره". [4]

ومن مميزات الحضارة الإسلامية :

2- العالمية :

إن معنى أن تكون الرسالة الإسلامية ، رسالة عالمية هو أن تكون متجاوزة لكل المقاييس التي اصطلح عليها البشر عن عصبية القبيلة أو الجنس أو الأمة أو الدولة ، وغير ذلك لأنها تخاطب الإنسان من وراء كل الظروف والبيئات والأزمنة، لأنها

[1] -(آل عمران : 110).
[2] - (الحج : 41).
[3] - (البقرة : 143).
[4] - مصطفى السباعي ، من روائع حضارتنا . ص : 45 .

تخاطب فطرة الإنسان التي لا تتبدل ، ذلك لأنها سنة الله الخالدة" [1]. « فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ »[2].

وهذه شهادة رجل غربي : « إن خصوصية العقيدة الإسلامية نفسها تفرض على العكس العالمية ، ولا يمكن إدراك المفهوم الإسلامي للعالم و للمجتمع إلا من خلال جوهره الديني، فمبدأ وحدة الكون ونظامه يحثم بالضبط وجود مجتمع بشري موحد ومنظم ، ويشكل على كل فريق على حدة كيانا متجانسا وجزءا لا يتجزأ من المجتمع الكوني الذي تجبر فيه الإمكانات والحاجات إلى التشارك والتعاون من ارتباط الأمم بعضها ببعض» [3] .

ولما كانت هذه الرسالة ذات هدف عالمي شامل كان الرسول صلى الله عليه و سلم مأمورا أن يخاطب بها الناس على وجه العموم دون تعريف بين قوم وقوم فكل من بلغته دعوته فهو داخل في عموم خطابه ، ومن أجل ذلك كانت رسالة الحضارة الإسلامية يشترك في تحقيقها العملي و بنائها التطبيقي كل من إستجاب لها من كل عرق و لون و لغة "[4] ، فجدير بكل مسلم أن يفخر بتاج المجد الذي صنعه بناتها الصادقون من المسلمين في كل بلد من بلاد الإسلام ، في سالف العصور الإسلامية التي استجابت للإسلام ، وأحسنت تطبيق تعاليمه لأن تعاليم الإسلام عالمية فهي تعده لمستقبل خالد، والاعتقاد بإله واحد ، يقود إلى إذابة كل مبدأ عرقي أو شعور قومي "[5].

ولذا فنحن عندما نتكلم عن الحضارة الإسلامية إنما نتكلم عن الإسلام في بعض جوانبه.

---

[1]- سليمان الخطيب ،" أسس مفهوم الحضارة في الإسلام" ، ص : 208.
[2]- (الروم 30).
[3] - مارسيل بوازار ،" إنسانية الإسلام "،ص 171 .
[4] - الميداني حسن حبنكة ، "أسس الحضارة الإسلامية "، ص : 132 .
[5]- سليمان الخطيب ، "أسس مفهوم الحضارة في الإسلام" : 201-202 .

3- المبادئ الأخلاقية :

جعلت الحضارة الإسلامية المبادئ الأخلاقية المحل الأول في كل نظامها ، ومختلف ميادين نشاطها ومن المعروف أن موضوع علم الأخلاق ، يتناول سلوك الإنسان ويرسم طريقه ويحدد أهدافه وبواعثه ، وغاية علم الأخلاق هو صون الإنسان من الخطايا في سلوكه بحيث يكون مستقيما في قصده ، وفعله وغرضه بعيدا عن الهوى والتقليد الأعمى "[1].

أن الحضارة الإسلامية حضارة أخلاقية ، للقيم الفاضلة فيها المقام الأول ، والنشاط الإنساني فيها معلوم بهذه القيم قال تعالى يمدح نبيه الكريم عليه السلام : « وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ» [2]. قال صلى الله عليه وسلم :« ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق» [3].

إن الإسلام قد ترك للعقل الإنساني حرية الإبداع والابتكار في مجال استغلال خيرات الكون ، مع وضع ضوابط إنسانية تحكم هذا السلوك من الانحرافات المنافية للفطرة الإنسانية.

والقيم الأخلاقية هي قيم إنسانية لأن أول صورة من صور القيم إنما هو الوعي بضرورتها ، وأهميتها وتأتي هذه الأهمية في أنها تشهد بطموح الإنسان ونزوعه إلى التسامي ، وتطلعه إلى مزاولة حياة إنسانية كريمة ورغبته في الارتفاع فوق مستوى البهيمة المجردة ، والعلم وحده لا يكفي لحل مشكلة الإنسان لذا تأتي أهمية القيمة الخلقية في حياتنا ، والأخلاق هي القوة الروحية الكبرى التي استطاعت أن تعلوا بالانسانية الى مستوى أرقى بكثير من المستوى الطبيعي التلقائي". [4]

---

[1]- مغنية محمد جواد ،" فلسفة الأخلاق في الإسلام" ، دار العلم للملايين ، د.ط 1979 : ص 12 .

[2] -(القلم 4)

[3] -النووي ، "رياض الصالحين باب حسن الخلق" رقم الحديث 626/6.

[4] - سامية عبد الرحمان عبد السلام ، "القيم الأخلاقية "، دراسة نقدية في القطر الإسلامي والفكر المعاصر ، مكتبة النهضة ، القاهرة د.ط 1992 ، ص : 131-134 .

4- المزج بين المادة والروح

لقد خلق الله ، سبحانه وتعالى ، الإنسان من مادة وروح ، وأمده بكل أسباب الحياة في جانبها المادي والروحي، "فهيأ للجسم البيئة الصالحة التي تعيش فيها على وجه الأرض، وهيأ سبحانه للجانب الروحي غذاءه من الوحي الذي نزل إلى الإنسان على يد الرسل ، فالإنسان في مفهوم الحضارة الإسلامية هو ذلك الكائن المادي والروحي ، وأن حياته الصالحة المستقيمة هي تلك التي يراعي فيها هذا الجانب وذلك يظهر جليا في تعاليم لإسلام وتشريعاته، فإلى جانب الدعوة إلى الإيمان والحرص على العبادة ، تجد الدعوة إلى الأخذ بالأسباب المادية للحياة قال تعالى: « الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [1]»

وعلى هذا الأساس أقام المسلمون صرح الحضارة الإسلامية بمعطياتها الروحية والمادية ، وحققت للإنسانية أقصى درجات طموحها في تلك العصور التي كان فيها العالم من حولها يعيش فراغا روحيا وأخلاقيا، وتخلفا واضحا في صناعة الحياة، فكل نشاط مادي في ظل الحضارة الإسلامية له غاية أخلاقية ، وفيه جانب روحي"[2]

قال صلى الله عليه وسلم: «ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة»[3]

5- الحث على العلم :

[1] - (البقرة 1-5).
[2]- النجار مصلح بن عبد الحي الوافي في الثقافة الإسلامية ، ص : 174 .
[3]- أحمد بن حنبل ،" مسند الإمام أحمد "، رقم الحديث 12976 .

دعوة إسلامية تدعو إلى الإيمان بالله خالق الكون، وبارئ السموات والأرض ، وتحض على الخير وتنهى عن الشر وتكرم الإنسان، "وتدفع به إلى التماس العلم أينما وجد، وإلى تحصيل المعرفة أنى عثر عليها ومهما كانت بعيدة، ولأن أولى آيات كتاب الدين الإسلامي "لقرآن الكريم" تحض على التعليم . "[1]

«اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2)اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)[2]»، فالحضارة الإسلامية في مسيرتها و في ظل العقيدة الإسلامية التي أعطت العقل المسلم قناعة الإيمان الواضح والأخلاقية الإيمانية الملتزمة بتعاليم الإسلام ومبادئه وتطبيقها لضمان استمرارها في بناء صرح الأمة المتكافلة،وصيانة مكتسباتها الحضارية دون استغلال أو طغيان للشعوب والحضارات ".[3]

ولم يسبق الإسلام في حقيقة الأمر - دين من الأديان- وقف هذه الوقفة من العلم والدعوة إليه، والإشادة بفضله... وبذلك انطلق المسلمون الأوائل، ونهلوا من جميع العلوم حتى فاقوا جميع الأمم ، لكن في إطار القيم العقيدية والأخلاقية، التي احتواها المفهوم الإسلامي للعلم وقيمه "[4].

ولقد مثل أعلام الحضارة الإسلامية ، "دوائر علمية وثقافية أثرت في الحضارة الإسلامية، وشكلت مساحة واسعة من نسيجها الداخلي : أمثال البخاري الترمذي، وأبي حنيفة، وسيبويه، والفارابي، وابن سينا، والغزالي ، والرازي وغيرهم ، لتبرهن على أن الحضارة الإسلامية جمعت في إهابها العديد من ثقافات الشرق والغرب" [5] وأثبتت أن الدين الإسلامي دين عالمي.

---

[1]- مصطفى الشكعة ، "معالم الحضارة الإسلامية ، ، ص : 27 .

[2] -(العلق 1- 5).

[3] - سليمان الخطيب ، "أسس مفهوم الحضارة في الإسلام "،ص: 278-279

[4]- المرجع نفسه ، ص : 280 .

[5]- سمير سليمان ،" الإسلام والغرب" ، إشكالية التعايش والصراع بيروت ، د.ط ، 1995 ص: 46 .

إذن، وكما قيل الحضارة بنت العلم، والعلم هدف يسعى المسلم إليه من واقع الكتاب الذي آمن به وتعاليم الرسول الذي اهتدى به ، فكل من الإبداع والتفكير ينبت حضارة، وينشئ معرفة.

الفصل الثاني : البعد الانساني في الحضارة الاسلامية

- آفاق حقوق الانسان
- تكريم الاسلام الانسان
- حقوق الاجانب في المجتمكع الاسلامي
- حقوق المرأة
- العلاقات الدولية و حقوق الانسان
- ثمرات الانسانية
- مبدأ الاخاء الانساني
- مبدأ الحرية.

البعد الإنساني في حضارة الإسلام :

إن أية حضارة سادت في عميق التاريخ إنما بدأت من الإنسان فهو الهدف وهو الغاية وهو الوسيلة ، في آن واحد وحضارة الإسلام تعتبر الإنسان حجر الزاوية، "ولهذا فإن الإنسان الذي هو باني الحضارة ، وصانعها من الطبيعي أن تنعكس عليه إشعاعات الحضارة لكنها في الإسلام تأخذ إطارا أوسع، وبعدا إنسانيا أعمق، فهو البعد الأساسي ، لأن الإسلام دين عالمي يتوجه إلى الإنسانية جمعاء ، من غير تمييز بين أحمر وأصفر ولا أبيض ولا أسود، إنما الناس كلهم عباد الله لا فرق بينهم إلا بالتقوى ولذلك توجه الله سبحانه و تعالى بخطابه إلى الناس جميعا في قوله تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ (12)يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13)** [1]

"فركيزة حضارة الإسلام هي حفظ كرامة، ومصالح الإنسان بإعتباره الخليفة المكلف بإعمار الحياة ، وصناعة الحضارة، فهي لا تؤمن بنظرية التفوق العنصري أو الإستعلاء الجنسي.

إن الإنسان هو حامل الأمانة « إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا »[2]

إستئناف إبتدائي أفاد الإنباء على سنة عظيمة من سنن الله تعالى في تكوين العالم وما فيه وبخاصة الإنسان ليراقب الناس في تصرفاتهم ومعاملاتهم مع ربهم، ومعاملاتهم مع بعضهم البعض

[1] (الحجرات : 13)
[2] (الأحزاب : الأية 72).

لأن الإسلام سوى بين الناس في المعاملة، فلا يعامل ذو لون بمعاملة، ويعامل اللون الآخر بغيرها بل المعاملة الواحدة، "ولقد بين الله سبحانه وتعالى أن أصل التكوين الإنساني واحد، وإن الطبيعة الإنسانية واحدة، فيجب أن تكون المعاملة الإنسانية واحدة والتكليف واحد، وإذا توزعت أرض الناس ، فإنهم يتلاقون على الإتحاد كما إبتدءوا به [2] يقول الله تعالى :« **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** »[3]

إن الحضارة الإسلامية منفتحة الحدود النفسية إنفتاحا مقرونا بالتحريض على الإنطلاق إلى الأبعاد الإنسانية كلها تحمل إليها المحبة ، والرحمة إرادة الخير والسعادة للناس أجمعين ، ثم إلى أبعاد أخرى أوسع من المجتمع الإنساني حتى تشمل كل ذي حياة بالرحمة والإحسان [4]

فأنا لا يمكنني أن اكون إنساني إذا ما تعاطفت فقط مع أبناء جنسي أو ديني أو طائفتي ، وإنما ينبغي أن أتفتح أكثر لكي أستطيع التعاطف مع آلام الإنسان في كل مكان، وأيا يكن دينه ، وقوميته ، أو مذهبه ، وتمتد الأبعاد الإنسانية ليتشمل الرحمة كل ذي حياة وشواهد ذلك في النصوص الإسلامية كثيرة منها النصوص التالية، قال صلى الله عليه وسلم : (دخلت النار إمرأة في هرة حبستها لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض) [5]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : (ما من مسلم يغرس غرسا فيأكل منه طير او إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة) [6]

---

[1] يسرى السيد محمد، حقوق الإنسان في ضوء الكتاب والسنة ، دار المعرفة ، ط1 ، 2006 ، ص: 50 .
[2] محمد أبو زهرة ، المجتمع الإنساني في ظل الإسلام ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط2 ، 1971 ، ص: 51
[3] (النساء : 1)
[4] عبد الرحمان حسن جبنكة، أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها ص: 33
[5] البخاري : كتاب بدء الخلق، باب خمس من الدواب ، فواسق يقتلن في الحرم، رقم الحديث 2234 .
[6] أحمد بن حنبل ، مسند الإمام أحمد ، رقم الحديث 12976 .

1- آفاق حقوق الإنسان :

تتسع دائرة حقوق الإنسان في الإسلام لتشمل الحقوق الشخصية، والفكرية، والسياسية ، والقانونية ، والإجتماعية والإقتصادية والحريات العامة المتنوعة والمساواة، كما تشمل حقوق غير المسلمين في داخل المجتمع الإسلامي وخارجه، لأن البر عمل إنساني عالمي،« **لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** »[1] **ويقول في آيات أخرى :** «**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** » [2]

إن حقوق الإنسان الشاملة في الإسلام هي ضمان للفرد، والجماعة ، والدولة على السواء ، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو واجب هؤلاء جميعا، فهو واجب الفرد كما هو واجب الجماعة :« **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** » [3] « **يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**»[4] « **لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ** »[5] تشمل هذه الحقوق الناس جميعا.

ومع برالوالدين هو أسمى ما يعامل الأبناء به آباءهم إلتماسا لمرضاتهم، فإن القرآن قد حض المسلمين وشجعهم أن يبروا غير المسلمين، إذا لم يكونوا في حالة

---

[1] (البقرة : 177).
[2] (الممتحنة : 8)
[3] (آل عمران : 110)
[4] (لقمان : 17)
[5] (النساء : 114)

حرب مع المسلمين، ولم يقاتلوهم في الدين، ولم يعملوا على طردهم من أوطانهم. فالبر من أخلاق المسلمين مع الآخرين، يشمل إنفاق المال على الفقراء، والأيتام، والأرحام والسائلين وتحرير الأرقاء، ويشمل الدأب على بر الناس من غير المسلمين، وعلى إحقاق الحق لهم، وتطبيق العدل فيما بينهم ، لأن الله يحب لعباده المؤمنين أن يكونوا مع الناس جميعا عادلين. [1]

وتأكيدا على هذه الحقوق وترسيخا لها، "إقتضت الحكمة الإلهية ، والعدالة الربانية أن ترفع مرتبة حقوق الإنسان فتجعلها جزءا من العقيدة ومستمدة منها، فيكون الإيمان حارسا لها، ودافعا إلى الحفاظ عليها، فميزان الله تعالى لا يحيد و لا يحيف، فلا يظلم عرفا، ولا فئة ، ولا طبقة ولا حزبا، إن رب الناس ملك الناس إله الناس رؤوف بعباده، رحيم بخلقه، يقدر الحقوق بحكمته الفائقة وعدالته المطلقة للناس أجمعت فلا تتحكم طبقة بأخرى في صراع طبقي، ولا شعب بشعب في إحتراب قومي، ولا طائفة بغيرها في نزاع طائفي، وفي هذا السياق، فإن الرضوخ للطواغيت والظالمين، ليس مذلة وخنوعا فحسب، وإنما هو لون من ألوان الشرك، فالمؤمن خاشع لله عزيز به، والتفريط في عزته المستمدة من عزة ربه، جل في علاه تفريط في عقيدته وإيمانه .[2]

2-1 تكريم الإسلام للإنسان :

الكرامة الإنسانية حق مطلق في الإسلام ، لا يمارى فيه ولا ينازع : « **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**[3] »

[1] محمد فتحي عثمان ، من أصول الفكر السياسي الإسلامي ، مؤسسة الرسالة ، ط2 ص : 315 – 316 .
[2] المرجع نفسه ، ص: 148 .
[3] (الإسراء :70).

ولقد رزق الإنسان قدرة جعله بها يسيطر على ما حوله من الكائنات، وسخرها الله له، فمنعه من أن يدل نفسه لشيء منها، وجعله آمنا من كل المخاوف إزاء هذه الكائنات.

ومما كرم الله به الإنسان أن جعله قادرا على التمييز بين الخير والشر ، فألهم النفس الإنسانية فجورها و تقواها وغرس في جبلها الإستعداد للخير والشر، وجعل عند الإنسان إرادة يستطيع بها أن يختار بين الطرق المؤدية للخير والسعادة ، أو الطرق الموصلة إلى الشقاء.

ومما كرم الله به الإنسان وفضله أن وهبه القدرة على التعلم والمعرفة وزوده بكل أدوات هذه القدرة [1] قال تعالى :« اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » [2]

ولقد كرم الله الإنسان كذلك بأن جعله خليفته في أرضه "وأوكل إليه تنظيم الحياة في هذا الكوكب رغم إحتجاج مخلوقات كريمة على الله، وهي الملائكة لعلمها أن من كان مجبولا من الطين لابد أن تكون فيه نواقص تسبب الفساد وسفك الدماء، ولم يعلموا أن الله قد أسبغ على الإنسان عقلا وعلما ،وقدرات أخرى تؤهله ليكون خليفة الله في الأرض، ولذلك صلح أن يكون مرشحا لعبادة الله وخلافته وعمارة أرضه [3] ، والإسلام ربى العواطف الربانية والعقل الإنساني على التفكير المنطقي السليم، والسلوك البشري الرباني السديد المستقيم ، فسعدت بذلك المجتمعات وسعدت الدنيا بنور الحضارة الإسلامية ، يوم قادت الأمة الإسلامية أمم الأرض إلى

[1] عبد الرحمان النحلاوي ، أصول التربية الإسلامية وأساليبها ، دار الفكر دمشق ، ط1 ، 1979 ص: 32-33
[2] (العلق : 2- 5)
[3] لطفي منصور ، بحوث ودراسات في الحضارة والأدب دار الفكر ، الأردن ط1 ، 2007، ص: 292 – 293.

نور العلم، وسمو الخلق، وتحرير العقل من الخرافات والأوهام ، وتحرير الإنسان من ظلم الإنسان"[1]

1- 3 – حقوق الأجانب في المجتمع الإسلامي :

من الحقوق الثابتة التي قررها الفقهاء إستنادا إلى النصوص ، أن الأجنبي إذا دخل بلاد المسلمين على غير نية الإقامة الدائمة، بقصد التجارة أو الزيارة أو السياحة أو غير ذلك يكون مستأمنا، فإذا قرر الإقامة الدائمة ذميا ومن رعايا الدولة الإسلامية، والمستأمنون ولو كانوا منتمين إلى دولة داخلة في حرب مع الدولة التي دخلها المستأمنون، فإن أموالهم مصونة، وأرواحهم لا يعتدي عليها، قال السرخسي الفقيه الحنفي الشهير في كتابه: " أموالهم صارت مضمونة بحكم الأمان، فلا يمكن أخذها بحكم الإباحة، وأن ماله الذي إكتسبه في دار الإسلام يبقى على ملكه، لا تزول عنه ملكيته، ولو عاد إلى دار الحرب، بل لا تزول عنه ملكيته، ولو عاد إلى دار الحرب، بل لا تزول ، ولو حمل السلاح فعلا مقاتلا المسلمين وعلى ذلك اتفقت كلمة الجمهور " [2]

ومن الحقوق الشريعة الإسلامية ، ولو كان المسلمون في حالة حرب معهم، أن يقرروا مصيرهم عندما يخالف المسلمون المقاتلون شرطا من شروط الحرب أو يتجاوزون حكما فقهيا مقررا، كما حدث فيما وراء النهر أو في إقليم " سمرقند*" عندما دخل المسلمون بقيادة قتيبة بن مسلم الباهلي أرضهم واحتل عاصمة الإقليم دون أن يخيرهم بين الإسلام أو العهد أو القتال، فشكا أهل هذ الإقليم إلى الحاكم العادل عمر بن عبد العزيز أن قتيبة " قاتلهم قبل أن يخيرهم ليقرروا مصيرهم، وأسكنها المسلمين غدرا فكتب الخليفة إلى وليه ليعين لهم قاضيا ينظر فيما ذكروا

[1] عبد الرحمان النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها ، ص : 184 .
[2] محمد أبو زهرة : " العلاقات الدولية في الإسلام " ص: 8 .

فإن قضى بإخراج المسلمين خرجوا، فنصب لهم الوالي قاضيا ينظر في شكواهم ، فتبين للقاضي صدق الشكوى فأصدر أمره إلى جند المسلمين بأن يخرجوا من البلد الذي فتحوه ويعودوا إلى تكناتهم، ثم ينذرهم الجيش بعد ذلك، وفقا لمبادئ الحرب الإسلامية حتى يكون أهل "سمرقند" على إستعداد للقتال فلا يؤخذوا بغتة، فيخيرهم بين الحرب والعهد والقتال، فاختاروا العهد، ومنهم من اختار الإسلام، بعد أن رأوا ما لا مثيل له في تاريخ الأمم والحروب من عدالة تنفذها الدولة الإسلامية على جيشها وقائدها، وقالوا هذه أمة لا تحارب ، وإنما حكمها رحمة ونعمة [1]

وفي حروب التتار في بلاد الشام وقع بأيدي التتار كثير من أسرى المسلمين واليهود والنصارى ، فتدخل شيخ الإسلام ابن تيمية مع أمير التتار في أمر الأسرى وفك أسرهم فأجابه الأمير إلى فك أسرى المسلمين دون النصارى واليهود ، فأبى ابن تيمية ذلك وقال له : لابد من افتكاك جميع من معك من اليهود والنصارى الذين هم في ذمتنا، ولا ندع أسيرا، لا من أهل الملة ولا من أهل الذمة " [2]

وإذا أردنا أن نفرق بين الفتح والغزو، " نقول أن الفتح في المفهوم التاريخي غير الغزو، فالغزو هو حركة إجتياح، وإستيلاء موقوت سواء قصرت مدته أو طالت، وهو لا يغير من جوهر حياة الشعوب التي اجتاحها ولا يدمجها في كيان الدولة ، ويكون تأثيره ظاهريا ،فإذا زالت سطوته زالت آثاره، لأن الشعوب تستكين له مرغمة ، وهي دائما قلقة رافضة تتحين الفرصة للتخلص منه، أما الفتح ، وإن كان ربما يأتي في مرحلته الأولى بحركة إجتياح، إلا أنه يسعى إلى إدماج الشعوب المفتوحة في كيان الأمة الفاتحة، ويجعلها عنصرا منها وعضوا من أعضائها، ويعطيها من الحقوق ما هو للشعب الفاتح، فيزول شيئا فشيئا شعورا المغلوبين

[1] محمد أبو زهرة " العلاقات الدولية في الإسلام " الدار القومية للطباعة والنشر ، دط – 1384 هـ ص: 32 .
*سمرقند :هي مدينة في أوزبكستان و معنى الاسم قلعة الارض و كانت مدينة جميلة و كانت تضم قصور عظيمة و عمارة مبنية على شاطئ واد يعرف بوادي القصارين .
[2] مصطفى السباعي ، " من روائع حضارتنا " ص: 103 .

بالقهر ، وبالتالي يسعون لتحقيق التقدم لهم و للجماعة التي اندمجوا فيها إندماجا عضويا تاما[1]

ومما يجذب النظر ويثير الإهتمام إلى درجة الإشمئزاز " أن قسما من المستشرقين الذين انطوت سراترهم على معاداة الإسلام وحضارته، وملأت الضغينة قلوبهم لكل ما هو إسلامي، يرجعون هدر حقوق المواطن المسلم من قبل سلطته الحاكمة إلى الإسلام الذي يبيح حسب ما يزعمون كبت الفكر والحد من حرية الفرد.

فهذا المستشرق franz rosenthal يصرح في كتابه " فكرة الحرية في الإسلام " إلى أن المسلمين في العصر الوسيط كانوا لا يملكون مفهوما للحرية الإنسانية مشابها للمفهوم الإغريقي ، ويزعم أن الحر عند المسلمين هو من لم يكن عبدا، وأن السيدة "إليزابيت ماير" زعمت في كتابها " الإسلام، والحقوق الإنسانية في التراث والسياسة " الذي صدر سنة 1991 ، تشتد في إدانة الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر في مسألة حقوق الإنسان، بل تفضل المرحلة الكلاسيكية على المرحلة المعاصرة بأسلوب التعجرف الغربي، والعداء السافر بالإسلام، والمسلمين[2]

4-1 حقوق المرأة :

أحاط الإسلام في ظل حضارته المرأة بسياج من الرعاية والعناية، " وارتفع بها وقدرها، وخصها بالتكريم وحسن المعاملة إبنة ، وزوجة ، وأختا ، وأما ، فقرر الإسلام أولا أن المرأة والرجل خلقا من أصل واحد، ولهذا فالنساء والرجال في الإنسانية، سواء ، قال تعالى :« **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ**

[1] أحمد إبراهيم الشريف : دراسات في الحضارة الإسلامية ، دار الفكر العربي القاهرة ، ط2 ، 1971 ، ص : 202 .

[2] حقوق الإنسان نقلا عن رضوان السيد ، حقوق الإنسان و الفكر الإسلامي المعاصر، مجلة العربي، العدد 448 ، مارس 1966 ، الكويت.

وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً»[1] وهناك آيات أخرى كثيرة تبين قضاء الإسلام على مبدأ التفرقة بين الرجل والمرأة في القيمة الإنسانية المشتركة.

وإذا ما أردنا أن نتبين ما أصله الإسلام وما جاء به من دعائم لرفعة المرأة ، وتكريمها فيهمنا أن ندرك أولا وضع المرأة في الجاهليات القديمة لنرى الظلام الحقيقي الذي عاشته فلقد كان العرب يئدون بناتهم فيحرمونهن حق الحياة وإذا بالقرآن يتنزل يجرم ويحرم ذلك الفعل حيث قال تعالى :« **وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ، بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ»**[2]

ولقد كان الرسول صلى الله عليه و سلم قدوة عملية في ذلك ، فكان في غاية الرقة واللطف مع أهله.

وما أن تشب البنت و تصير فتاة بالغة ، حتى يعطيها الإسلام الحق في الموافقة على الخاطب، ثم لما تصير زوجة يحث الشرع الحنيف على حسن معاملتها وعشرتها[3] وبالإضافة إلى ما سبق فقد أثبت الإسلام للمرأة ذمة مالية مستقلة تماما كالرجل، فلها أن تبيع وتشتري ، وتستأجر ، وتؤجر ، وتوكل وتهب ، ولا حجر عليها في ذلك ما دامت عاقلة و راشدة.

ثم أمر الرسول صلى الله عليه و سلم بتعليمها حيث أدركت قيمة العلم منذ الأيام الأولى للإسلام وفي ذلك المجتمع الرباني فتعهدت عقلها بالعناية، ولعمري إن المرأة المسلمة هي النموذج الأرقى لأي إمرأة عرفتها المجتمعات البشرية إذ جمعت إلى مكارم الأخلاق رجاحة العقل ، ونقاء النفس وسمو الروح، وسلامة التصور للكون والحياة والإنسان.

---

[1] (النساء : 1)
[2] (التكوير : 7 – 9)
[3] راغب السرجاني ، ماذا قدم المسلمون للعالم ، ص : 72-73 .

ولا ريب أن الوصول بالمرأة إلى هذا المستوى الراقي من التكوين الخلقي والروحي والنفسي والفكري نعمة إنسانية كبرى، وإنجاز حضاري أكبر من كل إنجاز، ذلك أن بلوغ المرأة ذلك المستوى العالي من التكوين، يعني سمو إنسانيتها [1]

فلقد كانت المرأة خلال عصر الإزدهار الحضاري العربي عنصرا إيجابيا وقويا ،" فكانت الخيزران زوج المهدي في العهد العباسي تتدخل في سياسة الدولة وزبيدة زوج الرشيد ، فكانت إلى عملها وأدبها تتزعم الحزب العربي في البلاط، و(قطر الندى) بنت خماويه التي أفقر جهازها الرائع الدولة الطولونية هذا إلى شهدة الكاتبة التي برزت في القرن السادس وكانت تحاضر في بغداد بالتاريخ والشعر وغيرهن من شهيرات النساء كثيرات.[2] وهكذا تعيش المرأة المسلمة عزيزة أبية كريمة مصونة في ظل تعاليم الإسلام وفي ظل الحضارة الإسلامية السامية.

4-1 العلاقات الدولية وحقوق الإنسان :

لا شك أن الديانات السماوية قد جاءت لإقرار الأمن والسلام،" والحد من الخصومات ،والمنازعات بين الأمم و الدول، وإحلال المحبة والخير ، بديلا لكل معاني الصراع والضغينة ، وتلك هي الروح الحقيقية للتشريع الإسلامي، التي تتجاوب مع أهداف الدعوة الإسلامية ورسالتها السامية، معنى هذا أن الأصل في نظر الإسلام هو السلم، وتأكد لدينا أن الباعث على القتال، لم يكن الحرب والصراع فالفتوحات الإسلامية لم تكن إلا لدفع الإعتداء، سواء في الشام أو في مصر أو في فارس وبلاد الروم" [3]

وفي العلاقات الدولية بين المسلمين، والشعوب الأخرى" يقضي الإسلام في الحفاظ على حقوق الإنسان في وفاء المسلمين بالعهود لغيرهم مهما كلفهم ذلك من عنت وتضحيات، فعندما حشد الروم جموعهم على حدود البلاد الشمالية الإسلامية في الشام، كتب أبو عبيدة إلى كل وال خلفه في المدن التي صالح أهلها يأمرهم أن

[1] محمد علي الهاشمي " شخصية المرأة المسلمة " وزارة الشؤون الإسلامية ، ط1 ، 1425 هـ ، ص : 493 .
[2] أنور الرفاعي ، " الإسلام في حضارته ونظمه " ص: 278 .
[3] سليمان الخطيب ، أسس مفهوم الحضارة في الإسلام ، ص : 235

يردوا عليهم ما جبي منهم من الجزية والخراج، وكتب إليهم : " إنما رددنا عليكم أموالكم لأنه بلغنا ما جمع لنا من الجموع، وإنا كنا قد أخذنا منكم أموالا على أن نحميكم وندافع عنكم ، ونحن الآن خارجون عنكم لا نملك حمايتكم، فهذه أموالكم نردها إليكم ونحن لكم على الشرط إن نصرنا الله عليهم " [1]

والأمثلة كثيرة من هذا في التاريخ الإنساني الإسلامي ، فتغير الظروف والمصلحة القومية لا تبرر في الإسلام نقض العهد، كما لا يبرره أن يرى المسلمون أنفسهم في مركز القوة تجاه الطرف الثاني ، وقد ورد النص الصريح في القرآن يؤكد ذلك[2]، فقال تعالى : « **وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ** » [3]

وأما في تأمين السفراء و الرسل فقد جاء التشريع الإسلامي في غاية الوضوح في هذا الأمر، ودلت النصوص الصريحة والأفعال التي قام بها النبي صلى الله عليه وسلم على عدم جواز قتل الرسل بأي حال من الأحوال، ويترتب على ضمان حماية شخص الرسول ، عدم جواز القبض عليه كأسير ولا يجوز تسليمه لدولته، لأن تسليمه يعد غدرا به ولأنه يتمتع بالحماية في دار الإسلام[4].

وبهذا يكون الإسلام قد سبق الأمم الأخرى بتشريعاتها في مجال تقنين المعاهدات الدولية وتأمين الرسل والسفراء بأكثر من 1400 سنة في وضع القواعد الإنسانية الحضارية.

2- ثمرات الإنسانية :

2-1 مبدأ الإخاء الإنساني :

---

[1] مصطفى السباعي " من روائع حضارتنا " ص: 102 .

[2] صالح بن عبد الرحمان الحصين " العلاقات الدولية بين منهج الإسلام والمنهج الحضاري المعاصر " مكتبة العبيكان ، ط1 ، 2008 ، ص : 153 .

[3]- (النحل :91).

[4]- راغب السرجاني " هذا ما قدم المسلمون للعالم " ، مؤسسة إقرأ القاهرة ، ط 5 ، 2010 ، ص: 154

المؤاخاة أو الإخاء أو الأخوة من أروع القيم الإنسانية التي أرساها الإسلام للمحافظة على كيان المجتمع،" لقد التقى أهل مكة بأهل يترب لا يجمع بينهم إلا الدين الجديد، فكان أروع منظر لسلطان الدين شهده التاريخ ،و كان الأوس والخزرج لم ينفضوا عنهم غبار حرب بعاث، ولا تزال سيوفهم تقطر دما ، فألف الإسلام بين قلوبهم، ثم آخى رسول الله صلى الله عليه و سلم، بينهم وبين المهاجرين فكانت أخوة تزري بأخوة الأشقاء، وتبذ كل ما روي في التاريخ من خلة الأخلاء ، فكانت هذه الجماعة الوليدة ،" المؤلفة من أهل مكة المهاجرين وأهل يترب الأنصار"، نواة للأمة الإسلامية الكبيرة."[1]

وقد تضافرت النصوص "على صقل هذه القيمة وإبراز مكانتها وأثرها في بناء المجتمع المسلم، فقال تعالى مقررا علاقة الأخوة بالإيمان ، إنما المؤمنون إخوة، وذلك دون إعتبار لجنس أو لون أو نسب ، فاجتمع وتآخى بذلك سلمان الفارسي وبلال الحبشي وصهيب الرومي مع إخوانهم العرب."[2]

لقد طبق الإسلام هذا الإخاء الرفيع ، "وأقام على أساسه مجتمعا ربانيا إنسانيا فريدا شعاره :« **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** »

لقد غسل الإسلام الأنفس من أرجاس الجاهلية وطهرها من الغل والحسد والحقد، ونقاها من الأنانية والشح و البخل بل ارتقى ببعض الأنفس إلى درجة الإيثار"[3] .

إنه فقط في المجتمع الإسلامي ، حيث هذه الدرجة العالية من الأخوة وتوحد الإحساس، وعلى هذا تكون أساسا وعنوانا لبناء مجتمع متماسك راق.

2-2 مبدأ المساواة الإنسانية :

---

[1] أبو الحسن علي الحسني الندوي ، ماذا خسر العالم بإنحطاط المسلمين ، دار الشهاب ، ط5 ، 1987 ، ص : 125

[2] راغب السرجاني " ماذا قدم المسلمون للعالم " ص: 127 .

[3] يوسف القرضاوي " الخصائص العامة للإسلام " شركة الشهاب ، الجزائر ، د.ط 1977 ص: 85 .

المساواة أحد عناصر التقويم الحضاري العربي الإسلامي " فالناس متساوون في خصائصهم الإنسانية، فقد خلقهم الله تعالى من مصدر واحد، لا فرق بينهم ولا تمييز من حيث النشأة والإبتداء :« خلق الإنسان من علق»[1] وقال تعالى : « **وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ** »[2] وهم متساوون في الخلق كما قال الإمام علي كرم الله وجهه " .... فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظيرك في الخلق "[3]

إن القيمة الإنسانية واحدة للجميع ،" فالعربي إنسان والعجمي إنسان والأبيض إنسان والأسود إنسان والحاكم إنسان والغني إنسان والفقير إنسان ورب العمل إنسان ... والحر إنسان والعبد إنسان، ومادام الكل إنسانا ، فهم إذن سواسية كأسنان المشط الواحد.

ومن هنا اعتبر الإسلام الإعتداء على نفس أي إنسان إعتداء على الإنسانية كلها، فحسبنا أن نشير هنا إلى قصة جبلة بن الأيهم، الأمير الغساني مع الأعرابي الذي شكا إلى عمر أمير المؤمنين كيف لطمه جبلة بغير حق، فلم يسع عمر إلا أن يحضر جبلة ويطلب إليه أن يمكن الأعرابي ليقتص منه لطمة بلطمة ، إلا أن يعفو عنه ويصفح ، وعز على الأمير الغساني أن يفعل ذلك ، وقال لعمر بصراحة كيف يقتضي مني وأنا ملك وهو سوقة ؟ [4]

فقال عمر : "إن الإسلام قد سوى بينكما" ولعل ما يظهر سموه هذه المبادئ ، وما كان لها من أثر ضخم في النفسية المسلمة " فالكتب المقدسة للهنود البرهميين، تقرر التفاضل بين الناس بحسب عناصرهم ونشأتهم الأولى ، وكان قد ماء اليونان يعتقدون أنهم شعب الله المختار وكذلك كان الشأن عند الرومان ، فكانت قوانينهم ونظمهم الإجتماعية، تجرد غير الروماني من جميع ما يتمتع به الروماني من حقوقه

---

[1] (العلق : 02)
[2] (الأنعام : 98)
[3] سعيد كاظم العذاري ، سماحة الإسلام وحقوق الأقليات الدينية مركز الرسالة ، ط1 ، 1424 ص: 10
[4] يوسف القرضاوي " الخصائص العامة للإسلام " ص: 87-89 .

وتنظر إليه على أنه من فصيلة إنسانية وضيعة، وأنه لم يخلف إلا ليكون رقيقا للرومان وكانااليهود يعتقدون أنهم شعب الله المختار و كان العرب في جاهليتهم يعتقدون كذلك أنهم شعب كامل الإنسانية "

ومن هذا كله يظهر لنا الفتح العظيم الذي فتحه الإسلام في تاريخ النظم الإجتماعية ، إذا قرر أن الناس جميعا سواسية في القيمة الإنسانية المشتركة.[1]

لقد وجدنا ما هو أسمى " فقد أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم بلالا الحبشي يوم فتح مكة أن يصعد فوق الكعبة ليؤذن من فوقها، ويعلن كلمة الحق، والكعبة هي الحرم المقدس عند العرب في الجاهلية وهي القبلة فكيف يصعد عليها عبد ملون كبلال ؟ .... كيف يطأها بقدميه؟ إن مثل هذا أو قريبا منه لا يتصور في الحضارة الحديثة ، فما كان صعود بلال على سطح الكعبة إلا إعلانا لكرامة الإنسان على كل شيء ، وأن الإنسان يستحق هذه الكرامة لعلمه وعقله وأخلاقه وإيمانه ، لا لبشرته وبياضه.[2]

ولكننا منذ قيام هيئة الأمم وإعلان ميثاق حقوق الإنسان نجد أنفسنا في حاجة إلى مثل هذا الحديث بعد أن رأينا وسمعنا عن الأحاديث المفجعة عن التمييز العنصري، جريمة إظطهاد الإنسان لأخيه الإنسان لا لضعفه ولا لجهله بل للون بشرته .

3-2 مبدأ الحرية :

لقد وضع الرسول صلى الله عليه و سلم المبدأ موضعا عمليا إثر الإنتصار على قريش في غزوة فتح مكة حيث قال لقريش المغلوبة في مواجهتها ، المهزومة في كبرياتها قولته المشهورة ذات البعد الإنساني الحضاري : " إذهبوا فأنتم الطلقاء " لقد هزم الإسلام فيهم جاهليتهم "

[1] سليمان الخطيب " اسس مفهوم الحضارة في الإسلام " ص: 211
[2] مصطفى السباعي " من روائع حضارتنا " ص: 55-65 .

فالحرية حلية الإنسان وزينة المدينة فيها تنمي القوى وتنطلق المواهب ، وبصوبها تنبت فضائل الصدق و الشجاعة والنصيحة بصراحة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إن الحرية أثقل عبء على الظالمين والجبابرة والمخادعين.

إن الشريعة الإسلامية جاءت وحكم الإسترقاق عريق في نظام الأمم وفي تمدنهم ومتسلسل مع تاريخ حضارتهم ،فأبطل الإسلام أسباب الإسترقاق الإختيارية والإظطرارية ولم يبق إلا سببا واحدا وهو الأعسر مع الكفر في حرب بين المسلمين والكافرين فإذا أسر الكافر في الحرب استرق " [1]

ولقد تعددت مظاهر الحرية في الحضارة الإسلامية إلى حرية الإعتقاد ، وحرية التفكير وحرية القول وحرية الفعل.

وهكذا أقرت الحريات كمبدأ من السماء مع نزول الاسلام ، لترتقي بها الإنسانية ، ولم تكن يوما وليدة تطور في المجتمع، أو نتيجة ثورة طالب بها المحرومون منها، كما هو الحال عند كثير من الأمم المعاصرة.

[1] محمد الطاهر ابن عاشور " أصول النظام الإجتماعي " المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط2 ، 1985 ، ص : 170 .

الفصل الثالث : نماذج من الانسانية في حضارة الاسلام

- نماذج باهرة من التسامح و العدل مع الآخر
- وفد نجران
- قصة أبو جندل
- انسانية عمر بن الخطاب
- علاقة الحكام بالمحكومين
- انسانية صلاح الدين و الحروب الصليبية
- المؤسسة الصحية
- الرفق بالحيوان .

يعلن القرآن الكريم أن الانسانية جمعاء تستحق التكريم من غير اختصاص بلون أو أو جنس أو أمة قال الله تعالى :« وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا [1] » . فليس ثمة شعب الله المختار في الاسلام بل الانسانية كلها جديرة بالتكريم في هذه الارض ، و بذلك أعطى النبي صلى الله عليه وسلم مثلا أعلى لمعاملة أهل الكتاب ، فقد روى أنه كان يحضر و لائمهم و يشيع جنائزهم و يعود مرضاهم و يزودهـم و يكرمهم [2].

1- نماذج باهرة من التسامح و العدل مع الآخر :

لقد فضح الاسلام منذ لقائه الاول باليهودية و اليهود " الانحرافات العقدية و التحريفات التي أوقعها أحبار اليهود بتوراة موسى عليه السلام و لم يمنع هذا الموقف الواضح ، التصريح ، و الحاسم رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم ، ودولته ، و أمته من فتح الابواب الواسعة أمام اليهود للتعايش مع المسلمين في دولة الاسلام و مجتمعه – أمة واحدة و رعيته متحدة ،فنص دستور دولة المدينة الذي و ضعه رسول الله عليه و سلم عام تأسيس الدولة (سنة 1 ه – سنة 622 م) على أن اليهود أمة مع المؤمنين لليهود دينهم و للمسلمين دينهم ...و من تبعنا من يهود فإن له النصر و الاسوة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة " الدستور غير مظلومين و لا متناصرين عليهم ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ...على اليهود نفقتهم و على المسلمين نفقتهم ، و أن بينهم النص على من حارب أهل هذه الصحيفة ، و أن بينهم النصح و النصيحة و البر دون الاثم ..."[3].فكامل العدل و الانصاف في الحقوق و الواجبات .وسوف نعطي بعض الامثلة في تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم مع و فد نجران * و قصة أبو جندل **بن سهيل لنستشق من ورائها نبل القيم الانسانية التي نادى بها الرسول صلى الله عليه و سلم .

---

[1](الاسراء : 70).

[2]عفيف عبد الفتاح طيارة "روح الدين الاسلامي " دار العلم للملايين – بيروت – ط 19 – 1979 ص :285.

[3]محمد عمارة :الاسلام في مواجهة التحديات .نهضة مصر .ط2-2008-ص:34.

نجران*منطقة على حدود اليمن كانت تشتمل على ثلاث و سبعين قرية فيها عشرون و مائة ألف مقاتل كلهم على دين النصارى .

**هو أبو جندل بن سهيل بن عمر القريتي العامري ، كان اسمه العاصي فتركه لما أسلم ، كان ممن عذب بسبب إسلامه ، و استشهد في وقعه اليمامة و هو بن 38 سنة .

فلقد فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم لنصارى نجران ،"أبواب مسجد النبوة فصلوا فيه صلاة الفصح مولين وجوههم الى المشرق ثم كتب لهم ، و لكل من يدين بالنصرانية عهدا لا تزال نصوصه متفردة ، غير مسبوقة و لا ملحوقة بين عهود حقوق الانسان و مواثيقها ...و يكفي أن نقرأ فيه :"لنجران و حاشيتها ، و سائر من ينتحل دين النصرانية في أقطار الارض جوار الله و ذمة رسول الله ، على أموالهم و أنفسهم و ملتهم ،و بيعهم ، و كل ما تحت أيديهم ...أن أحمي جانبهم . و أذب عنهم و عن كنائسهم و بيوت صلواتهم ...و ان أحرس دينهم و ملتهم أين كانوا مما أحفظ به نفسي و خاصتي ، و أهل الاسلام من ملتي لأني أعطيتهم عهد الله على أن لهم ما للمسلمين ، و عليهم ما على المسلمين و على المسلمين ما عليهم حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم و فيما عليهم ..."[1].

كما نجد في رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم الى الملوك و الرؤساء تأكيده الدائم على شهادة "لا إله إلا الله " في عصر ساد فيه الشرك ، و اتخاذ الناس بعضهم بعضا أربابا من دون الله ." و كان من أهم الانجازات الحضارية ، كما سبق – من وراء تلك المكاتبات و الرسائل أنها جاءت كحملة إعلامية على النطاق الدولي من أن هذا الدين ليس دين عرب أو جزيرة عربية و إنما هو دين الانسانية جمعاء "[2].

إنه سلوك النبي صلى الله عليه و سلم الذي تنهض به حقائق التسامح و الحب بين البشـــر و تتأصل كل المعاني النبيلة للإنسان و الانسانية .

و على طريق هذه السنة سارت الدولة الاسلامية عبر التاريخ ، فحررت الفتوحات الاسلامية أوطان النصرانية الشرقية من القهر الديني و الحضاري الروماني .

[1] محمد عمارة :الاسلام في مواجهة التحديات ص :35.
[2] سليمان الخطيب "أسس مفهوم الحضارة في الاسلام، ص :253.

1-1 قصة أبو جندل بن سهيل :

و قصته تعد دليلا واضحا على شرف الوفاء بالعهد الذي تميزت به الدعوة الاسلامية في بدايتها ، من خلال الاخلاقية العظيمة التي تحلى بها الرسول صلى الله عليه و سلم في معاملته لقريش .

"فقد تضايق المسلمون بادئ الامر من موافقة النبي صلى الله عليه وسلم –على الشرط الذي أملته قريش على المسلمين ، من أتى محمدا قريشا بغير إذن و ليه رده عليه ، و ازداد ضيقهم لما أقبل أبو جندل (ابن سهيل بن عمرو) فارا من المشركين يرسف في الحديد ، فراح الرسول صلى الله عليه وسلم –(يجره ليرده الى قريش ، و جعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته ، يا معشر المسلمين أأرد الى المشركين يفتنونني في ديني ، فزاد ذلك الناس الى ما بهم .فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم – يا أبا جندل ، اصبر ، و احتسب فإن الله جاعل لك و لمن معك من المستضعفين فرجا ، و مخرجا ، إنا قد عقدنا بيننا و بين القوم صلحا ،و أعطيناهم على ذلك ، و أعطونا عهد الله و إنا لا نغدر بهم "[1].

و بذلك تكون المعاهدات تكون المعاهدات أساسا هاما في تنظيم العلاقات بين المسلمين لان فيها تتضح قيمة العفو و التسامح .

2-1 انسانية عمر بن الخطاب :

و على هدي الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في تسامحه الديني ذي النزعة الانسانية الرفيعة سار خلفاؤه من بعده ، إن الكمال الانساني حين أراد أن يحقق وجوده المادي المحسوس تجسد في نماذج باهرة و نادرة من البشر ، و إن أحد هذه النماذج لهو "عمر بن الخطاب " ، فالرجل الذي ورثه الله ملك كسرى و قيصر الرجل خلق ليقود عالما ، أجل ! إن الشجاعة و إن العدل و الورع و الاستقامة كلها أخلاق انسانية يحمل أمانتها بنو

[1]ابن هشام : أبو محمد عبد المالك المعافري ،" السيرة النبوية ، تحقيق محمد فهمي السرجاني ، المكتبة التوثيقية ، القاهرة .د.ط –د.ت ج 3،ص :230.

الانسان و توجد بنسب متفـــاوتة مع الناس جميعـا لكن شجاعة عمر و عدله وورعـــه و استقامته شيء نابع من عمر و مختص به ، وما كان سيوجد قط ، لو لم يوجد عمر ..."[1]

كان عمر رضي الله عنه يتوخى في ولاته الرحمة و الشفقة على الرعية ، " و كم من مرة أمر قادته في الجهاد ألا يغرروا بالمسلمين و لا ينزلوهم منزل هلكة و كتب عمر لرجل من بني أسلم كتابا يستعمله به ، فدخل الرجل على عمر و بعض أولاد عمر في حجر أبيهم يقبلهم ، فقال الرجل : تفعل هذا أمير المؤمنين؟ فوالله ما قبلت ولدا لي قط ، فقال عمر ، فأنت و الله بالناس أقل رحمة ، لا تعمل لي عملا ، ورده عمر فلم يستعمله "[2].

ولما فتح عمر بيت المقدس ، "وكان على الصخرة زبالة عظيمة ، لأن النصارى كانوا يقصدون إهانتها مقابلة لليهود الذين يصلون إليها ، فأمر عمر بإزالة النجاسة عنها ، و التراب بيده و كان موقف عمر من النصارى رائعا و جليلا حين منحهم حرية الاعتقـاد و أمنهم على صلبا نهم و كنائسهم لم يضن على اليهود ما ارتكبوه في حق المسلمين بمثل هذا الموقف الرائع الجليل حيث رفع التراب عن الصخرة و اضطر عنايته و حرصه على احترامها"[3].

إنها إحدى عظمات عمر سمو النفس الانسانية و هي احدى روائع حضارتنا التي صاغت من عمر بن الخطاب ابن الصحراء إنسانا يقف على رأس قمة العظماء كما تقف حضارتنا في مقدمة الحضارات "[4].

وبعد فليس عمر وحده هو الذي صنعته حضارتنا رجلا يمثل الانسانية الرحيمة ففي أبي بكر ، و في عثمان ، و في علي ، و في عمر بن عبد العزيز ، كل واحد من هؤلاء مثل خالد على سمو النزعة الانسانية في حضارتنا الخالدة . و تحفظ كتب السيرة لهؤلاء نماذج باهرة من التسامح و البساطة و اللين ، فشهد لهم التاريخ و ازدانت بهم صفحاته .

---

[1] خالد محمد خالد ، "خلفاء الرسول "، المكتبة العصرية ، بيروت ، د.ط ، 2004.ص :142.
[2] علي محمد الصلابي ، "عمر بن الخطاب "، دار التوزيع و النشر الاسلامية ، القاهرة ، ط1، 2002 ، ص 355.
[3] المرجع نفسه ، ص 536.
[4] مصطفى السباعي ، "من روائع حضارتنا "، ص :47.

3-1 علاقة الحكام بعموم الناس :

موقف عظيم من مواقف اهتمام الخلفاء بعامة الناس هو "الخليفة العباسي "المعتصم " (ت227ه) يجيش الجيـــــــوش لنجده مسلمة أسرها جيش الروم استغاثت به قائلـــة :و امعتصماه ! "فأجابها و هو جـــــالس على سريره : لبيك لبيك ! و نهض من ساعتــه ، و صاح في قصره : النفير النفير تم ركب دابته ...و قال : أي بلاد الروم أمنع و أحصن ؟ فقيل : عمورية لم يعرض لها أحد منذ كان الاسلام ، و هي عين النصرانية ، و هي أشرف عندهم من القسطنطينية ، فسار "المعتصم " من سر من رأى ...و تجهز جهازا لم يتجهزه خليفة قبله قط من الســلاح ، و العـــدد ، و الآلــة و حياض الآدم *، و الروايا ** و القرب ، و غير ذلك ، و كان نزوله عليها في السادس من شهر رمضان (عام 223 ه) و أقام عليها خمسة و خمس يوما "[1] .

ولم يكن هذا موقفا عابرا من مواقف اهتمام الحكام المسلمين بعوام الناس ، بل كان موقفا متأصلا في الحضارة الاسلامية ، لم نعثر على مثيل له في الحضارات الأخرى .

" فهاهو ذا الحاجب المنصور بن أبي عامر ***" يسير جيشا كاملا لإنقاذ ثلاث من نساء المسلمين ، كن أسيرات لدى البشكنس **** (الباسك)، حيث زار أحد رسله إحدى الكنائس فعرضت له امرأة قديمة الاسر ، و عرفته بنفسها و أعلمتـــه و قالت له :" أيرضي المنصورات أن ينسى بتنعمه بؤسها ، و يتمتع بلبوس العافية ، و قد نضت لبوسها و زعمت أن لها عدة سنتين بتلك الكنيسة محبسة ، و بكـــل ذل و صغار ملبسه ، و ناشدته الله في انهاء قصتها ، و إبراء غصتها ، و استحلفته بأغلظ الايمان ، و أخذت عليه في ذلك أوكد مواثيق الرحمن ، فلما وصل الى المنصور عرفه بما يجب تعريفه به و إعلامه ، وهو مصغ إليه حتى تم كلامه ، فلما فرغ قال له المنصور : هل وقفت هناك على أمر أنكرته ،

---

*حياض الادم: الادم هو الجلد ، حياض مصنوعة من الجلد ، يوضع فيها الماء
**الروايا : جمع راوية :و هي الوعاء الذي يحمل فيه الماء كالقربة
[1]ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، دار أحياء التراث العربي ، بيروث ، د.ط- دت ، ج6 ،ص :45.
***الحاجب المنصور : كان حاجبا للخليفة هشام المؤيد ، فحكم بنفسه و كان ذروته في تاريخ الاندلس و أزهى عصورها كان ذو شجاعة و اقدام أنظر الذهبي :سير الاعلام النبلاء 123/17
****البشكنس شعب مجهول الاصل يقطن بالباسك –منطقة تقع في الجزء الجنوبي من فرنسا و الشمالي من اسبانيا www./arab.eniy.com.

ام لم تقف على غير ما ذكرته ؟ فأعلمه بقصة المرأة ، و بالمواثيق التي أخذت عليه ، فعتبة و لامه على أنه لم يبدأ بها كلامه ، فانطلق المنصور لتحرير المرأة و من معها من أسيرات المسلمين "[1] .

لقد كانت علاقة الحكام ،و عامة الناس في الحضارة الاسلامية علاقة رحمـــة و شفقة دون تكبر

4-1 صلاح الدين و الحروب الصليبية :

لقد كان ظهور صلاح الدين * امتدادا لحكم القوة الذي سبق للزنكيين ** إقامتـــه ، "و كان كذلك نموذجا لحكم المماليك الذي جاء بعده من القادة أمثال بيبرس و أحمد بن طولون و سواهم و قد عمل هؤلاء جميعا على تقديم أروع الخدمات لعالم العرب المسلمين في أصعب فترة من تاريخ العرب المسلمين فلقد أيقضت حملات الفرنج ما وصل إليه العالم الاسلامي من تقلص بعد مد كبير ، وبرزت خطورة الانقسامات السياسية و الاقليمية ، فأخذ المسلمون في البحث عن مصادر القـــوة ، و هذا ما يفسر إقدام أهالي دمشق على إرغام "أميرهم " على الكتابة "لصلاح الدين " يستنصر به و يستمده . و قد استجاب صلاح الدين و بدأ بناء مجده العظيم باعتماده على دمشق ، و كان أهلها هم الذين حملوه على مركب الجهاد و نصروه "[2].

لقد كانت ميادين الجهاد هي المختبر الحقيقي الذي انصهرت فيه كل الفضائل و القيم المثلى "فبعد مرور تسعين سنة من مجزرة قام بها الصليبيون ، فتح صلاح الدين بيت المقدس فماذا فعل ...؟ لقد كان فيها ما يزيد على مائة ألف غربي بذل لهم الامان على أنفسهم و أموالهـــــــم ، و يسمح لهم بالخروج لقاء مبلغ قليل يدفعه المقتدرون منهـــم ،

---

[1] المقري ، أحمد بن محمد بن الخطيب ،نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب "، تحقيق احسان عباس ، دار صادر ، بيروت -*د.ط ،1997 م،ج1،ص :404.

*صلاح الدين الايوبي :"هو يوسف بن أيوب شادي (1137-1193) لقبه المالك الناصر نشأ بدمشق .

**الزنكيين :نسبه الى عماد الدين الزنكي(ت1146) حارب ضد الصليبيين من نتائج أعماله ظهور عائلة بني "أيوب " (1131-1146).

[2]. بسام العسلي الايوبي "،مشاهير قادة الاسلام ، دار النفائس ، ط1،1978 ،ص :200.

و أعطاهم مهلة للخـــــروج و أربعين يوما ، فجلى منهم أربعة و ثمانون ألفا لحقوا كثيرا من الفقراء من غير الفديـــة ، و عامل النساء معاملة لا تصدر عن أرقى ملك منتصر في العصر الحديث .

و مما يزيد في روعة هذا العمل الانساني الذي قام به صلاح الدين في فتح بين المقدس، انه أرسل مع جماهير الغربيين الذين نزحوا من القدس ليضموا الى إخوانهم من يحميهم "[1]

ويوصلهم الى أماكن الصليبيين في صور و صيدا بأمان ، ، مع أنه لا يزال في حرب معهم !

ثم رأى زوجات أو أمهات أو بنات بعض ممن أسر أو قتل من الجنود و الفرسان فرآهن يبكين فبكى معهن و أمر بالبحث عن الاسرى من رجالهن و أطلق الذين و جدهـم و ردهم الى نسائهم ، أما اللاتي مات أو لياؤهن ، فمنح لهن أموالا كثيرة ، ثم سمح لهؤلاء الذين اعتقهم ان يتوجهوا مع نساءهم و أولادهم الى سائر اخوانهم في صور و عكا .

"إن قصـــــة صلاح الدين مع الغربيين في الحروب الصليبية تشبه الاساطيـــــر ، و الغربيون يذكرون عن صلاح الدين انه بلغه مرض "ريتشارد قلب الاسد أكبر قواد الحملات الصليبية و اشجعهم ، فأرسل إليه صلاح الدين طبيبه الخاص يحمل إليه العـــلاج و الفواكه "[2]

لقد رأى الصليبيون "سيوفا معلمة ، و قلوبا مؤدبة ، و نفوسا رحيمة ، رأوا العدل ، و المساواة و الاخاء ، فثاروا على نظام الاقطاع و امتهان الانسان عندهم ، و أنكروا تسلط الكنيسة ، و جبروتها ، و كافحوا انتقال الثروة الى أيدي بعض الامراء و سماسرة الملوك ، اغترفوا ما وجدوه من علم و حضارة ، فانتقل إليهم كثير من الصناعات ، و النباتـــــات و العقاقير ، و الاصباغ ، وفن العمارة ، و الهندسة ، و بناء الحصون و القلاع ، كما انتقل

[1] مصطفى السباعي ، من روائع حضارتنا ،ص:70.
[2] المرجع نفسه، ص:71.

كثير من التقاليد الاسلامية في الملبس ، و المأكل و في الاسرة الى أوربا ، ورجع الصليبيون و كأن صاعقة كهربائية نبهتهم الى السوء حالتهم ، و جهالة فكرهم و ضآلة مجتمعهم ، فانتفضوا يبحثون عن العلم و المعرفة ، و يبغون الاصلاح الاجتماعي ، و التقدم الفكري ، و الصناعي و الخلقي"[1].

لقد كان صلاح الدين في مثل تقى الخلفاء الراشدين ، و كان في كفاءته مثل أولئك السلف الذين قادوا الفتوحات الى مشرق العالم و مغربه .

و كان انتصار صلاح الدين امتدادا لتلك الانتصارات التي يمكن تصنيفها تحت اسم (حروب الايمان)

المؤسسة الصحية :

إنه بعد إنساني رائع تميز به الاداء الطبي عند المسلمين في زمن حضارتهـــــم ، و الذي يكمن في احترام الانسان بصفة عامة، و السعي الحثيث لرفع المعاناة و الالـــــم و الجرح عنه ، أيا كان هذا الانسان ، و أيا كانت معاناته.

"ولم يكن غريبا على أطباء المسلمين أن يهتموا بالبعد الانساني في تعاملهم مع المريض لأن قوانين التشريع الاسلامي تنطق بهذا المنهج الاخلاقي الفريد ، فالإسلام ينظر الى المريض على أنه انسان في أزمة ، و من ثم يحتاج الى من يقف الى جواره ، و يأخذ بيده ، و يرفع من معنوياته ، و يهدئ من روعه و يخفف عن آلامه الجسدية ، فضلا عن المعنوية "[2].

لقد كانت أوروبا في العصور الوسطى تعامل أصحاب العلل أسوأ معاملة يعامل بها الانسان و كان مبعث ذلك لدى الاوروبيين آنذاك هو الاعتقاد السائد بأن هذا المريض قد لعنته السماء عقابا له على اثم ارتكبه خاصة الذي يعاني ضعفا في قواه العقلية و على ذلك

---

[1] توفيق يوسف الواعي ،"الحضارة الاسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ، مكتبة المنار الاسلامية ، الكويت ،ط2،2004م ،ص 531-532.

[2] راغب السرجاني ،"ماذا قدم المسلمون للعالم "،ج2،ص :579.

فإنه يحل تعذيب ذلك الجسد لأنه بمثابة منزل الشيطان رجيم ! .أي فهم خاطئ للدين المسيحي كان هذا ؟ ! .و قد ظلت أوروبا على هذا الحال الى قبيل القرن التاسع عشر ."[1]

كـــان في هذا الوقت الذي خصص فيه العرب البيمارستانات أي دور المرضـــى ، و كان أول مستشفى للجذام في الاسلام أنشأه الوليد بن عبد الملك (707م) بينما بني أول مستشفى للجذام في أوروبا في القرن الثاني عشر نقله إليها الصليبيون عن سوريا ، و لكن بقيت أوروبا بشكل عام لا تدوي الجذام حتى روي ان الملك فيليب الجميل أمر بحرق جميع المجذومين في فرنسا عام 1313م"[2].

و إذا أردنا أن نستعرض بعضا من المستشفيات الرائدة في التاريخ الاسلامي ، فكان من أعظمها ":المستشفى العضدي و قد أنشأه عضد الدولة ابن بويه عام (371ه/981م) في بغداد ، و كان يقوم بالعلاج فيه عند إنشائه أربعة و عشرون طبيبا ، و من المستشفيات الاسلامية العظمى كذلك :المستشفى النووي الكبير بدمشق ، المستشفى المنصوري الكبير بالقاهرة الذي أنشأه الملك المنصور سيف الدين قلاوون ، و لا ننسى في هذا المضمار مستشفى مراكش الذي أنشأه المنصور أبو يوسف يعقوب ملك دولة الموحديين بالمغـــرب و الذي حكم من سنة (580ه/1184م) الى (595ه/1199م) ، و بعد فهذه نماذج من مئات المستشفيات التي كانت منتشرة في شرق العالم الاسلامي "[3].

و مهمة المستشفيات العربية المتعددة واضحـــة ، "يكفي أن نقرأ ما جاء في نـص و قف البيمارستان المنصوري في القاهرة لندركها ، فقد ذكر أن السلطان و قف هذا البيمارستان "لمداواة مرض المسلمين الرجـــال و النساء الاغنياء و الفقراء ، و مصـــر و ضواحيها ، من المقيمين بها و الواردين إليها على اختلاف أجناسهم و أوصافهم و سائر أمراضهم من أمراض الاجسام قلت أو كثرت ، و أمراض الحواس خفيت أو ظهرت كانت و إختلال العقول ..."

---

[1] زيغريد هونكة ،"شمس العرب تسطع على الغرب ، ص :255.
[2] أنور الرفاعي ،"الاسلام في حضارته و نظمه "، ص :607.
[3] مصطفى السباعي ،"من روائع حضارتنا "، ص :116-117.

و هذه المستشفيات جميعها كانت تحلق بها صيدلية مجهزة بالأدوية ، تقدم الـــدواء و الغذاء دون تفريق في اللون أو الجنس أو الدين ."[1]

إن المؤسسة الصحية في الحضارة الاسلامية قامت على عاطفة إسلامية خالصة لا مثيل لها في التاريخ و لا يعرفها الغربيون حتى اليوم ، و يكفي أنها تعاملت مع المرضى تعاملا إنسانيا ، إنها النزعة الانسانية التي بلغت الذروة و السمو في إسلامنا و حضارتنا .

2- الرفق بالحيوان :

ينظر الاسلام الى الحيوان إجمالا نظرة واقعية ، ترتكز على أهميته في الحياة ، و نفعه للإنسان ، و تعاونه معه في عمارة الكون و استمرار الحياة ، يدل على ذلك أن عدة سور في القرآن الكريم و ضع الله لها أسماء بأسماء الحيوان مثل ســـورة البقرة و الانعـــام ، و النحـــل ...و غيرها .

و قد نص القرآن على تكريم الحيوان و بيان مكانته ، و تحديد موقعه الى جانب الانسان فقال تعالى : « وَالْأَنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فِيها دِفْءٌ وَمَنافِعُ وَمِنْها تَأْكُلُونَ (5) وَلَكُمْ فِيها جَمالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (6) وَتَحْمِلُ أَثْقالَكُمْ إِلى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ (7)[2] » .

إذن ليس أدل "على رقي الامة و جدارتها بالحياة و استحقاقها لقيادة العالم ، من سمو النزعة الانسانية في أفرادها سموا يفيض بالخير و البر و الرحمة على طبقات المجتمع كافة بل على كل من يعيش على الارض من إنسان و حيوان ، إن حضارتنا خلت من مظاهر القسوة و التحريش بين الحيوانات ، و هي التي كانت معترفا بها في اليونان و الرومـــان و لا تزال معترفا بها في اسبانيا حيث تقام الحفلات الكبرى لمصارعة الثيران -إلا أنه قيل في خلال هذه السنوات وافق المجلس الوطني في هذه البلاد على إلغـــاء هذه الحفلات-

[1] أنور الرفاعي ،"الاسلام في حضارته و نظمه "،ص :610-611.
[2] (النحل :5-7).

و هي بلا شك وحشية من بقايا و حشية الغربيين القدماء في العصور الوسطى قد تنزهت عنها حضارتنا "[1].

إن مما أرسته شريعتنا الاسلامية من حقوق للحيوان أنها نهت عن اتخاذ غرضا ، فها هو ابن عمر رضي الله عنهما يمر بفتيان من قريش قد نصبوا طيرا و هم يرمونه ، فقال لهم :"لعن الله من فعل هذا !، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن من اتخد شيئا فيه الروح غرضا "[2].

وروى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قائلا :"كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فرأينا حمرة *معها فرخان ، فأخذنا فرخيها ، فجاءت الحمرة فجعلت تعرش ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال :"من فجع هذه بولدها ؟ ردوا و لدها إليها "[3].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :"دخلت امرأة النار في هرة لا هي أطعمتها و لا هي تركتها لتأكل من خشاش الارض ".

"ولقد كان من وظيفة المحتسب (وهي وظيفة تشبه في بعض صلاحيتها و وظيفة الشرطي في عصرنا الحاضر) أن يمنع الناس من تحميل الدواب فوق ما تطيق ، او تعذيبها و ضربها أثناء السير ، فمن رآه يفعل ذلك أدبه و عاقبه ، و يجبرهم المحتسب على فعل ذلك لما فيه من المصلحة ، و لا يحملون الدواب أكثر من طاقتها و أن صحابيا كعدي بن حاتم كان يفت الخبز للنمل و يقول :"إنهن جارات لنا و لهن علينا الحق ، و ان إماما كبيرا كأبي اسحاق الشيرازي كان يمشي في طريق و معه بعض أصحابه ، فعرض له كلب فزجره صاحبه فنهاه و قال له :"أما علمت أن الطريق مشترك بيننا و بينه ؟"[4].

وهناك درجة أخرى أعلى من الرحمة و أتمن أو جبها التشريع الاسلامي في معاملة الحيوان و هي : الاحسان إليه و احترام مشاعره ، و إن أعظم تطبيق لهذا الخلق حين نهى

[1].مصطفى السباعي ،"من روائع حضارتنا "،ص :89-92.

[2]البخاري :كتاب الدبائح و الصيد ، باب ما يكره من المثلة و المصبورة و المجتمة رقم الحديث :5196.

[3]أبو داود :كتاب الادب ، باب في قتل الذر (5268).

[4]مصطفى السباعي ،"من روائع حضارتنا "،ص 86.

الرسول صلى الله عليه وسلم عن التعذيبه أثناء الذبح لأكل لحمه ، سواء كان التعذيب جسديا بسوء اقتياده للذبح ، أو برداءة آلة الذبح ، او كان التعذيب نفسيا برؤية السكين ، ومن ثم يجمع عليه أكثر من موته " ! [1].

"كما روي عبد الله بن عباس – رضي الله عنهم أن رجلا أضجع شاة يريد أن يذبحها و هو يحد شفرته فقال النبي صلى الله عليه وسلم :"أتريد أن تُميتها موتات ، هلا حددت شفرتك قبل أن تضجعها ."[2].

وهكذا كان الرفق بالحيوان ، فله ان ينعم بالأمان و الراحة ، ما إن كان في بيئة رفرفرت عليها الحضارة الاسلامية قبل أن تتغنى أوروبا،و أمريكا بجمعيات الرفق بالحيوان.

[1] راغب السرجاني ،"ماذا قدم المسلمون للعالم "،ص:89-90.
[2] الحاكم :كتاب الاضاحي رقم الحديث (7563).
*الحمرة :طائر صغير كالعصفور ، انظر ابن منظور لسان العرب مادة حمر 208/4.

خاتمـــــــة :

و في الختام أنهي هذه الدراسة بمجموعة من الملاحظات و النتائج التي توصلت إليها :

1- أن الرسالة الاسلامية الخالدة لم تنزل لأهل الجزيرة العربية و فقط ، إنما نزلت من يومها الاول لكافة البشر .

2- أن الحضارة الاسلامية هي ما قدمه الاسلام و المسلمون للبشرية جمعـــاء من قيم و مبادئ و أخلاق قصد الرفع من شأنها ، و تمكينها من التقدم في الجانب الروحـي و المادي ، و تسيير الحياة لهذه البشرية آجلا و عاجلا .

3- أن الحضارة الاسلامية هي ارث تتقاسمه جميع الشعوب و الامم لأنها حضـــــارة انسانية جامعة

4- تميزت هذه الحضارة الاسلامية بخصائص استمدت اشراقاتها و تجلياتها من أقوى العقائد رسوخا ، و أشدها تمكنا في العقول و القلوب .

5- أن الانسان نعم في ظل الحضارة الانسانية بحقوقه ، و آفاق الاخاء الانسانـــــي و المساواة و الحرية ، فانتشرت هذه البشرى بالمساواة بسرعة الضوء ، فاستعاد كل مخلوق ثقته بنفسه ، بعد ثقته بربه الذي اعتقه من رق العبودية و أغلال الطغـــاة و الجبارين فتحرر من الذل و الخنوع و الخوف .

6- أن الحضارة الانسانية لا تقاس بالتقدم العلمي أو الصناعي أو الآلي- إلا بمقدار مـا يكون ذلك تعبير عن نيات انسانية صالحة و نبيلة -إنما تقاس بقيمة أخلاقية عليا ألا و هي الانسانية .

7- أن حضارة الاسلام سطرت أروع الامثلة في تاريخ الانسانية و شملت معانيـــها ،الانسان ، و الحيوان ، بل كل ما في الوجود ، و يظل الجانب الانساني هو المعيار الحاسم الذي يفرق حضارة الاسلام عن غيره من الحضارات .

ومن هنا نستطيع القول إن الحضارة الانسانية عاشت في حنايا الازمنة طولا و عرضـــا و ارتفاعا، و أعماقا ،و تواضعا ،و استشرافا فكانت الجذور المضيئة التي لم تحرق ، و إنما انارت قلوبا و هذبت نفوسا و ثقفت عقولا و انتشلت أمما من وهدة الحضيض فرفعتها الى ذروة الاوج .

وبعد عرض هذه النتائج التي تلخصت عن هذه الدراسة نصل الى الختام فإن كان البحث قد بلغ مرامه المنشود ، فتلك الغاية التي كنا نبغي و الفضل لله أولا و اخيرا و إذا قصرنا فالكمال لله عليه توكلنا و إليه ننيب و نسأل الله أن يوفقنا ان نكون انسانيين في التعامـــل و أن ينفعنـــا و إياكم الى ما فيه الخير و الصلاح في الدنيا و الآخرة آمين .

قائمة المصادر و المراجع :

- القرآن الكريم (برواية حفص عن عاصم).
- الحديث النبوي الشريف

1) ابن خلدون ، المقدمة ، تحقيق على عبد الوافي مطبعة دار الشعب ، دط ، دت ، ج1.
2) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، دار الإحياء الثراث العربي التراث العربي ، بيروت ، دط ، دت ، ج6.
3) ابن هشام أبو محمد عبد الملك المعافري ، السيرة النبوية تحقيق محمد فهمي السرجاني ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، دط، دت ، ج3.
4) أبو الاعلى المودودي ، الحضارة الاسلامية ،،أسسها و مبادئها دار الانصار القاهرة ، دط، دت.
5) أحمد ابراهيم الشريف ، دراسات في الحضارة الاسلامية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط2،1971.
6) إدريس خضير ، فلسفة الاقتصاد في الاسلام ، ديوان المطبوعات الجامعية ،دط ،1982.
7) أنور الرفاعي ، الاسلام في حضارته و نظمه ، دار الفكر ، دمشق ،ط2، 1982.
8) اسماعيل فاروقي ، قضايا اسلامية معاصرة ، اسلامية المعرفية ، دار الهدى ، ط1، 2001 .
9) بسام العسلي ، صلاح الدين الايوبي ، مشاهيرقادة الاسلام ، دار النفائس ، ط1، 1971.
10) توفيق يوسف الواعي ، الحضارة الاسلامية ، مقارنة بالحضارة الغربية ، مكتبة المنار الاسلامية الكويت ، ط2، 2004.
11) حسان حلاق ، دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية ، دار النهضة العربية ، ط1، 1989.
12) خالد محمد خالد ، خلفاء الرسول ، المكتبة العصرية ، بيروت ، دط ، 2004 .
13) راغب السرجاني ، ماذا قدم المسلمون للعالم ، مؤسسة اقرأ القهرة ، ط5، 2010.
14) سعيد كاظم العذاري ، سماحة الاسلام و حقوق الأقليات الدينية ، مركز الرسالة ، ط1، 1424ه.
15) سعيد همام و آخرون ، الوجيز في الثقافة الاسلامية ووسائلها دار القلم ، دمشق ، ط1،1997.

16) سمير سليمان ، الاسلام و الغرب ، إشكالية التعايش و الصراع ، بيروت ، دط، 1995.
17) سامية عبد الرحمن عبد السلام ، القيم الاخلاقية دراسة نقذية في الفكر الاسلامي و الفكر المعاصر ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، دط، 1992.
18) سيد قطب ، الاسلام و مشكلات الحضارة ، دار الشروق ، بيروت ، دط ، 1399ه
19) شلبي أبو زيد ،، تاريخ الحضارة الاسلامية و الفكر الاسلامي ، القاهرة ، مكتبة و هبة ، ط1، 1996
20) صالح عبد الرحمن الحصين ، العلاقات الدولية بين منهمج الاسلام و المنهج الحضاري المعاصر مكتبة العبيكان ، ط1، 2008.
21) عبد الفتاح ، مقلد الغنيمي ، الحضارة الاسلامية و تحديات القرن الواحد و العشرين ، مكتبة مدبولي ، ط1، 1990.
22) عبد الرحمن النحجلاوي ، أصول التربية الاسلامية و أساليبها ، دار الفكر ، دمشق ، ط1، 1979.
23) عبد الرحمن الميداني ، حسن حنكبكة ، أسس الحضارة الاسلامية وو سائلها ، دار القلم ، دط ، 2006.
24) عفيف بهنسي ، الفن الاسلامي ، منشورات وزارة الثقافة ، دط ، 1968.
25) عفيف عبد الفتاح الطبارة ، روح الدين الاسلامي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط12 ، 1979 .
26)
27) عماد الدين خليل مدخل الى الحضارة الاسلامية ، دار العربية للعلوم ، ط5،2010.
28) علي الحسني أبو الحسن الندوي ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، دار الشهاب ، ط 5، 1987.
29) لطفي منصور ، بحوث و دراسات في الحضارة و الادب ، دار الفكر الاردن ، ط1، 2007.
30) محمد مرتضى ، الزبيدي "تاج العروس ، مصر ، المطبعة الخيرية ، ط1، ج3.
31) محمد أبو زهرة ، العلاقات الدولية في الاسلام ، الدار القومية للطباعة و النشر ، دط ، 1384 ه

32) محمد أبو زهرة ، المجتمع الانساني في ظل الاسلام ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط2، 1978.
33) محمد الطاهر بن عاشور ن أصول المظام الاجتماعي المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط2.
34) محمد علي الهاشمي ، شخصية المرأة المسلمة ، وزارة الشؤون الاسلامية ، ط1، 1425ه.
35) محمود اسماعيل ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، مكتبة الفلاح للنشر و التوزيع ، الكويت ، ط3، 1992.
36) محمد عبد الهادي ، أبو ريدة ، الاسلام و الحضارة تحقيق فبصل بدير الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط1، 2011.
37) محمد عمارة، الاسلام في مواجهة التحديات نهضة مصر ، ط2، 2008.
38) مصطفى السباعي ، من روائع حضارتنا ، دار الصديقية ، الجزائر ، دط ، 1980
39) مصطفى الشكعة ، معالم الحضارة الاسلامية دا العلم للملايين ، بيروت ، ط4، 1984.
40) مغنية محمد جواد ، فلسفة الاخلاق في الاسلام ، دار العلم للملايين ، دط ، 1979.
41) مالك بن نبي ، و جهة الاسلامي ، دار الفكر بيروت ، ط2، 1970.
42) المقري ، أحمد بن محمد بن الخطيب ، نفخ الطيب في غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، دط،1997 ، ج1.
43) مجمع اللغة العربية ، القهرة ، دط ، 1/1960.
44) النجار مصلح بن عبد الحي ، الوفي في الثقافة الاسلامية ، مكتبة الرشد الرياض ، دط ، 2006.
45) يوسف القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ، شركة الشهاب ،الجزائر ، دط ن 1977.
46) يسرى السيد ، محمد ن حقوق الانسان في ضوء الكتاب و السنة ، دار المعرفة ، ط1، 2006.

المراجع المترجمة:

- غارودي روجيه ، و عود الاسلام ترجمة ذوقان قرقوط ، الوطن العربي ، القاهرة ، بيروت ، 1984.

- مارسيل بوزار ، انسانية الاسلام ترجمة عفيف دمشقية ن منشورات دار الادب ، ط1، 1980.
- زيغريد هونكة ، شمس العرب تسطع على الغرب ، رحاب الجزائر ، دط ، 1986.

الدوريات :

- حراء (مجلة علمية ثقافية) روح الحضارة الاسلامية ، محمد عمارة ، العدد 20 ، سبتمبر ٢٠١٥.
- العربي (مجلة) حقوق الانسان و الفكر الاسلامي المعاصر ، الكويت ، رضوان السيد ن العدد 448، مارس 1966.

فهرس الموضوعات:

مقدمة

مدخل : نبذة عن الحضارة العربية الاسلامية 01

الفصل الاول : مفهوم الحضارة الانسانية

- تعريف الحضارة 09
- لغة و اصطلاحا 09
- مجالات الحضارة الاسلامية 11
- إنسانية النزعة 14
- العالمية 18
- المبادئ الاخلاقية 20
- المزج بين المادة و الروح 21
- الحث على العلم 21

الفصل الثاني : البعد الانساني في الحضارة الاسلامية

- البعد الانساني في حضارة الاسلام 24
- آفاق حقوق الانسان 26
- تكريم الاسلام الانسان 27
- حقوق الاجانب في المجتمع الاسلامي 29
- حقوق المرأة 31
- العلاقات الدولية و حقوق الانسان 33
- تمرات الانسانية 34
- مبدأ الاخاء الانساني..... 34
- مبدأ المساواة الانسانية 35
- مبدأ الحرية..... 37

الفصل الثالث : نماذج من الانسانية في حضارة الاسلام

- نماذج باهرة من التسامح و العدل مع الآخر..... 39
- قصة أبو جندل..... 41
- انسانية عمر بن الخطاب 41
- علاقة الحكام بالمحكوم..... 43

- انسانية صلاح الدين و الحروب الصليبية 44
- المؤسسة الصحية.....46
- الرفق بالحيوان 48
- خاتمة 51
- قائمة المصادر و المراجع 52
- الفهرس